بحوث في الأدب الأندلسى ... [٦] :

٧

مشروع إعداد نسخة إلكترونية
لحولية كلية اللغة العربية بالمنوفية
إعداد وتنفيذ
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
استاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في الكلية

أدب الصحراء
فى أرض الأندلس الخضراء
(من خلال استقراء المصادر والمراجع المتاحة)

الدكتور
عبد الله على ثقفــان
أستاذ الأدب الأندلسى المشارك
قسم الأدب – كليـة اللغـة العربيـة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السادس عشر، مطبعة الأخوة الأشقاء ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عمر أحمد بن فرج الجيّانى واصفًا منظر الصحراء(١) :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها ويترك شمل العزم وهو مبدّد
ترى عاصف الأرواح فيها كأنها
من الأين تمشى ظالع أو مقيدّ

كان العربى قد رحل إلى أرض المغرب مدفوعًا بقوة الإيمان وحب الجهاد، وتلك حالة جعلته يتفوق، مما جعله يضرب صفحًا عما يحيط به، ويبقى متعلقًا بحبه لما كان فيه من قبل تساعده لغته الحية(٢) التي تعبر عما في نفسه بصورة طيّعة، ولذا نجده قد نقل معه كل ما الفه في أرض المشرق حتى تلك الأخلاق التي كان يتعامل بها، وهنا ظهرت العصبية في أرض الأندلس بين المضرية وقيام التناحر بينهما بعد مرور فترة من الزمن ليست طويلة(٣) ولأن الفكر والشعر من جزئيات هذا العربى فإننا نجدهما قد حفلا «بأسماء الأمكنة التي في الجزيرة العربية وبصورة الحياة البدوية ووصف الصحراء ...»(٤)، على الرغم من حلول أصحابها في أرض تختلف عن أرضه، وما جاء ذلك من خلال طبع طُبعَ عليه تمثل في اعتزازه بأصله، وبعروبته وبوطنه، ولذا فهو إن رحل إلى بيئة جديدة سعى إلى تعريبها، فينشر فيها دينه ولغته وأدبه وحضارته حتى يشعر أنه لم يغترب، وأن الوطن الجديد بالنسبة له ليس بديلًا عن الوطن القديم، ولا منفصلًا عنه، بل هو امتداد له(٥) .

إن العربى وقد اتصف بهذه الصفات استطاع أن يؤثر فيمن حوله، ولم يتأثر هو، لأنه لم يجد في هذه الأرض ما يلفت انتباهه، فحضارته التي يحملها من أسمى الحضارات، فسعى إلى الأرض وأصلح ما فيها بعد أن رآها قابلة بهذا الإصلاح، فقد وجدها تحوى أجواء بلاده، ففيها صحارى كما في شبه جزيرة العرب فاستصلحها وتحولت إلى أرض زراعية(٦)، وفيها أنهار وعيون وبحار كما في العراق والشام ومصر، فما كان منه إلّا أن نزل في المكان الذي يجده أقرب في أجوائه إلى المكان الذي ألفه في أرض المشرق(٧).

فنزل أهل دمشق في البيرة وسموها دمشق الأندلس

ونزل أهل الأردن في جيان وسميت بأردن الأندلس

ونزل أهل فلسطين في شذونة وسُميت بفلسطين الأندلس

ونزل أهل مصر في تدمير وباجة وسميتا بمصر الأندلس

ونزل أهل حمص في اشبيلية وسموها بحمص الأندلس

ولأن الأندلس قد توافرت فيها الأجواء القريبة من نفس العربى والشبيهة بأجواء بلاده فقد طاب له الاستقرار فيها، بل جعل منها صورة مصغرة للشرق كله، فأخذت أحسن ما فيها، قال البكرى: «الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جباياتها، صينية في جواهرها، عدنية في منافع سواحلها ...»(٨)، لكن هذا الجمال، وهذا الحسن لم يصرف العربى المسلم عن الهدف الذي جاء من أجله إلى هذه البلاد وهو (الجهاد) في سبيل الله، فحول هذه

الأرض إلى (دار جهاد وموطن رباط)[٩] ذلك لأنه وجد أن أصناف أهل الكفر قد أحاطوا بشرقها وشمالها وبعض غربها[١٠].

وإذا كان العربي قد جعل من الأندلس صورة مصغرة للأرض المشرقية، فإن ذلك لم يكفه، إذ نشر فيها دينه ولغته العربية تلك التي «زحزحت اللاتينية عن عرشها في شبه الجزيرة، كما زحزح الإسلام المسيحية أيضًا، وبهذا صارت العربية اللغة الرسمية للبلاد، كما صار الإسلام دينها الرسمي كذلك ...»[١١]، كما اتجه للفكر فبناه على تراب تلك الأرض منطلقًا في هذا البناء من المسجد، حيث اتجه الناس للتعلّم على أيدي علماء مشارقة وأندلسيين عادوا من المشرق، فإذا نحن مع قاعدة عريضة من المتعلمين الذين بسببهم بدأت الأندلس تكون داخل أرضها فكرًا نسج خيوطه من المشرق، وشَعَّ على تراب أرض بعيدة حتى تَعدَّى الحدود فأصبحت الأندلس كالنور الذي يسطع ضوءه إلى ما حوله فكان السبب في نهضة أوروبا من رقدتها، بعد أن «بلغت قدرًا من القوة والروعة»[١٢] في مجالات عدة خاصة الثقافية فإذا في الأندلس (دمشق وحمص وفلسطين وقنسرين)، وإذا فيها (المتنبي وأبو تمام والبحتري...، والمهدي والمأمون والمعتصم والمعتضد والمعتمد ...»[١٣].

إذا نحن مع مشرق وشرق مصغّر داخل الأندلس:

* فالدين هو الدين الإسلامي.

* والعربية هي اللغة الرسمية.

* وأسماء المدن المشرقية في الأندلس، وكذلك طبيعة الشرق والمشرق الجغرافية.

* وأسماء الشخصيات الفكرية والسياسية المشرقية في الأندلس.

وإذا كانت الحال بهذه الصورة، فإن من المفكرين والدارسين من جعل هذا الأمر سبيلًا إلى ربط الأدب الأندلسي بالأدب المشرقي وجعله تبعًا له، فإذا نحن مع أدب مشرقي في أرض المغرب وكأنه لم يعرف أن العربي هو الذي فتح البلاد، وهو الذي ربط الأرض الجديدة بالأرض التي انطلق منها ليكيفها مع رغباته وأهوائه، ولكي لا يشعر بالوحدة والبعد عن المكان الذي عاش فيه آباؤه وأجداده(١٤).

إن التداخل بين الأندلس والشرق كله واقع محتم، وهو تداخل أدّى إلى تلاحم في الفكر عامة والشعر خاصة لدرجة أنه من العسير أن نتبين الخيوط المشرقية من الخيوط المغربية أو الأندلسية(١٥)، إذ يرتد هذا التلاحم الفكرى إلى عاملين رئيسين هما: الدين، واللغة، باعتبارهما الركيزة الرئيسية لكل توحد ثقافى.

ونلمح من نتائج هذا التلاحم:

ما حصل من محاورة بين الشاعر الأندلسي (الغزال) وشعراء بغداد، إذ تصادف وصوله إلى العراق وبعد موت (أبي نواس) بمدة يسيرة، «،جدهم يلهجون بذكر الشاعر (الحسن بن هاني) ولا يساوون شعر أحد بشعره، فجلس يومًا مع جماعة منهم، فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم، فتركهم حتى وقعوا في ذكر الحسن، فقال لهم: من يحفظ منكم قوله:

ولما رأيت الشَّرْبَ أكدت سماؤهم

تأبطت زِقّي واحتسبت عنائي

إلى آخر الأبيات، فأعجبوا بالشعر، وذهبوا في مدحهم له كلَّ مذهب، فلما أفرطوا، قال لهم: خفضوا عليكم، فإنه لي، فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيده الذي أوله:

تداركت في شرب النبيذ خطائي
وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما أتمه بالإنشاد، خجلوا وافترقوا عنه ...[١٦]

إن هذا التداخل ليس مستغربًا، فالأندلس ولاية عربية كما هو الحال في العراق والشام والحجاز ومصر[١٧]، ولذا فإن أدبها أدب عربي استطاع العربي تكوينه على تراب أرض بعيدة عن أوطانه التي ألفها، وإنه من «الطبيعي أن لا ينسلخ الإنسان عن أوطانه مهما نأى، فمراتع الطفولة تلاحقه، ومرابع الصبا تتصدى له، وعوامل الدين والمجتمع والسياسة تلازمه ...»[١٨].

أقول؛ وتلك الحال قد كانت في الأندلس: إنه ليس بمستغرب أن نجد ألوانًا من الأدب ظهرت على تراب الأرض الأندلسية، ومنها (الأدب الصحراوي)، الذي يعبر عن الجذور[١٩]، وهو الذي كان منطلق العربي الأول على أرض بعيدة، فهو يمثل بعده، وهو يمثل حنينه، وهو يمثل شوقه وتشوقه، وهو الذي يمثل مناغاته للأماكن التي ألفها من قبل، قال الشاعر[٢٠]:

فإن كنت قد فارقت نجدًا وأهله
فما عهد نجد عندنا بذميم

إن هذا اللون من الأدب قد هاجر مع من هاجر[٢١]، فانتشر بانتشار من يحمله حاملًا معه بذورًا قابلة للزراعة في أماكن بعيدة، لتظهر فيما بعد بنتاج يحمل أبعادًا جديدة تتأثر بالمكان وبالزمان وبالإسناد.

إن (الأدب الصحراوي) الذي ظهر على تراب الأندلس أدب غير جامد، بل متحرك كتحرك الرمال، متغيّر كتغير المناخ بين

هبوب ورياح وأمطار، لكنه مع ذلك يحمل شيئًا من الثبات في داخله ليمثل لنا «ذلك الارتباط الذي ظل حيًّا في نفوس الأندلسيين للمشرق رغم سيطرة الحياة الجديدة»[٢٢]، فكان ثبات هذا الأدب في انتمائه وتغيّره، استجابة للواقع المعاش كنخلة (الداخل) التي زرعها في رصافته فقال عنها متمثلًا[٢٣]:

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فالنخلة ليست شجرة وحسب، بقدر ما هي رمز للمشرق بعطائه، فهو أرض الحضارات ومهبط الديانات ومنطلق الفتوحات، ولأنه كذلك، فإنها تمثل الحب والعطاء والانتماء فكلما نظر لها (الداخل) تذكّر بلاده، لأنه كان واقعًا، ومن الاستحالة على مثله العودة لمكان انطلاقه، فما كان منه إلّا أن غرس هذه النخلة التي تذكر كل من نظر إليها سواء الداخل أم غيره بالمكان الذي تم منه الانطلاق.

إن الأدب الصحراوي مثل هذه النخلة، فهو يعد غريبًا في أرض خضراء، كما أن النخلة غريبة عن مكانها[٢٤]:

نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

لكن العربي التزم به طيلة حياته في الأندلس، فظل مستمرًا معه كاستمرارية نخلة الداخل التي بقيت تقاوم الغربة والبعد حتى وقتنا الحاضر، لكنها تحولت إلى زينة وجمال بلا ثمر، ومثلها الأدب الذي تأثر فيما بعد - وبعد مرور القرون عليه - بضعف الجنس العربي، بل إشراك الأجناس الأخرى معه في خُلقه وعاداته بعد

المصاهرة، تأثر بالواقع المعاش فضعف بناؤه اللغوي لأنه نشأ في جيل لم تكن عروبته صافية؛ نظرًا لبعده عن مطارح البادية النقية التعابير[٢٥]، ولعل شيئًا من ذلك المخاض اللغوي يعد سببًا من أسباب ظهور الموشحات والأزجال على غرار نشأة الزجل والقوما والكان كان والمواليا على يد دعاة التجديد فى المشرق، وتلك فنون لم يعتدها العرب من قبل، وإن كانت الجذور واحدة هنا وهناك.

إن الأدب العربي في الأندلس مثل الأدب في العراق وفي الشام وفي الحجاز وفي مصر، بيد أنّ البيئة قد تصبغ كل أدب بصبغة خاصة، لا تتجاوز - كثيرًا - حدود أسماء الأعلام وأسماء الأماكن والتضاريس، إلّا أن خوف العربي على دينه وعلى لغته في الأندلس؛ نظرًا لبعده عن الأماكن التي انطلق منها الجدود جعله يتمسك أكثر بالقديم لدرجة أن الأندلس تبدو في تمسكها بالقديم أكثر شرقية من المشارقة[٢٦]، بل إن الأديب فيها ما فتئ على اتصال دائم بالمشرق، إذ يقلد نماذجه، وينافس أعلامه[٢٧]، ليس لضعف فيه أو منه، لكن السبب الآنف الذكر هو الذي دفعه لهذا العمل وذلك بالرغم من كثرة الداعين للاستقلالية من المفكرين وكأنَّ الحياة الجديدة قد صبغتهم بصبغة خاصة تجعلهم ينفرون عن هذا الاتصال.

إن المفكر والأديب الأندلسي استطاعا أن يحافظا على دينها وعلى لغتها على مدى القرون الثمانية، وتلك صفة عامة لا علاقة لها بما حدث على تراب تلك الأرض من معارك فكرية وأدبية، هيأت السبيل إلى ظهور من سُمّوا بـ«دعاة الأدب القومي»[٢٨] الذي لا يقلد المشارقة.

إن الأدب الصحراوي الذي نبت على تراب الأندلس على الرغم من تأثره بالمشارقة، إلا أنه يعد أدبا كائنا وموجودًا، شأنه في ذلك شأن الأدب الصحراوي في المشرق، ولذا فلا مجال للخوض في أصوله، ولماذا ظهر على تراب أرض خضراء؟... إلخ، ذلك من الأسئلة التي تسوّد الأوراق بلا فائدة. إنه جزء من جزيئات ذاك العربي الذي كوّن على تراب الأمة حضارة قاومت عوامل التعرية أكثر من ثمانية قرون متلاحقة وقد تعلّق به - كتعلق شعراء بغداد والبصرة ودمشق به، فقد شغلوا بذكر المدائن التي ولدوا فيها والآبار والعيون وبين أيديهم محاسن الجمال والأنهار ومحاسن الرياض الخضراء[٢٩]، وإذا كان قد ظهر من سعى إلى تحديث الفكر ومنه الشعر في المشرق إلّا أنه لم يوفق إلى إدراك النصر الكامل الذي سعى إليه[٣٠] نظرًا لما للقديم من سلطان عظيم على نفوس العرب ومن ثم كان للتراث الشعري القديم قيمة كبرى في تاريخ الآداب العربية [٣١]، بل إن التجديد الذي ظهر في المشرق فيما بعد على أيدي دعاته كان منطلقًا من إحياء الشعر القديم وتجديده بروح العصر[٣٢]، ومن أولئك الشاعر (المتنبي)، الذي فاق ولعه بالشعر القديم أي شئ آخر، ولذا فإن بدويته لم تكن رجعة إلى القديم بقدر ما كانت صدى للوعي النفسي الذي تأثر ويتأثر بما حوله[٣٣].

إن الأندلس كانت على وعي كامل بكل الحركات الفكرية التي ظهرت وتظهر في المشرق، فقد أخذ شعراؤها بالشعر القديم، كما تأثروا بواقعهم وبواقع الحياة الجديدة، فجددّوا في ذلك القديم الأمر الذي دعا (ابن بسام) إلى الصياح بقوله: «،قد مجّت الأسماع: يا دار مية بالعلياء فالسند ...، وملت الطباع: لخولة أطلال ...، ثم قال: ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين لضاع علم كثير، وذهب أدب غزير ...»[٣٤].

إن (ابن بسام) وغيره من المفكرين الأندلسيين قد واصلوا دعواتهم لترك ما كان في المشرق لأنهم يرون فيه شيئًا أثريًا قديمًا[٣٥]، والاهتمام بما هو كائن في البلاد الأندلسية، إلّا أن هذه الدعوات وبالرغم من تواصلها لم تؤثر في الاتجاه العام للأدباء، ولم تمنعهم من التلفت الدائم إلى الجذور المشرقية. ونظرًا لعمق تلك الجذور لم يتمكن أولئك الدعاة من فصل الأدب في تلك البلاد عن الأدب في المشرق، فما زال التواصل موجودًا بين المشرق والمغرب عبر منافذ عديدة، ملتزمين في ذلك بروابط كثيرة أهمها (وحدة اللغة والدين والتاريخ)، وقد ظل هذا التواصل حتى سَلَّم (ابن الأحمر) مفتاح غرناطة، فلقد كان للقديم وللجديد (المحدث) صدى في الأندلس، لكنهم كيفوه حسب الواقع والحياة.

إن التواصل بين الأندلس والمشرق لا يمثل مرحلة تبدأ وتنتهي، بل يمثل حياة لا تنقطع طالما أن الإنسان يعتز بجذوره وبأرضه مثله في ذلك مثل (الصحراء والبحر- والمتجمدات) التي تمثل «مناخات للإنسان، تبقى فكرًا ونسق عيش، ومقابلة وجود ما بقيت الأرض ...»[٣٦]، ومن هنا فإننا نجد أن الدوافع التي أثّرت في عقلية المفكر الأندلسي، قد مثّلتْ- في الوقت ذاته- مناخًا مثيرًا لوجدان الأديب الأندلسي الذي استلهم الحياتين معًا[٣٧]:

حياة البدو .. وحياة الحضر.

فكان شعره صدى لهما، على أن هاتين الحياتين تتشابكان مع بعضهما البعض، وهو تشابك أدّى إلى تأثر الشاعر بهما، فقد «ظهر فيه جمال الفطرة ونضارة الحضارة وجزالة البداوة ورقة الخيال ...»[٣٨]، فكان بهذه الحال يمثل خلاصة ما وصل إليه الشعر

في المشرق العربي من خلال تأثره بأرضه وبواقعه وبحياته، وبكل ما يدور في فلكه.

إن تأثر الشاعر الأندلسي بهاتين الحياتين (البادية والحاضرة) قد كان واقعًا محتمًا، ذلك لأن أصوله ريفية، وانتقلت هذه الأصول إلى الأندلس «فكان المظهر الغالب على حياة المدن الأندلسية هو الطابع الريفي»(٣٩) بما فيها من بساطة وخشونة وطيبة وعدم تصنع في المعاملات بين الناس(٤٠)، وإذا كانت قد تغيّرت في حياة (الناصر) ومن بعده، فإنها لم تغيِّر من القيم التي التزم بها المفكر الأندلسي وهو جزء من مجتمع متكامل.

أدب الصحراء .. ومرحلة التواصل:

لسنا في حاجة للتأكيد على تشابه الموضوعات في الأندلس وفي الشرق «فالمثال المحتذى به قد كان واحدًا هنا وهناك»(٤١) ذلك لأنه استقر في القلوب الاحتفاظ بتقاليد الشعر الموروث، بل إن الشعراء قد حرصوا على أن يظل شعرهم موصولًا بماضيهم، قال الشاعر(٤٢):

ولم أر فرعًا طال إلّا بأصله ولم أر بدء العلم إلّا تعلما

صحيح أن البيئة لها تأثير على المفكر بشكل عام والشاعر بشكل خاص، لكننا لم نلمس أثر ذلك على الشاعر الأندلسي أو الشعر في الأندلس خاصة قبل مطلع القرن الثالث، فليس للأندلس حظ في ذلك الأدب الذي قيل في القرن الثاني من الهجرة سوى إنه قيل على ترابها. إن الشاعر قد تأثر ببيئته السابقة أكثر من تأثره بالبيئة الجديدة، ومن هنا نجده قد استمد من الفن أكثر مما استمد من

الطبيعة والمجتمع[٤٣]، على أن هذا الأمر لم يكن على إطلاقه، فسرعان ما أخذ المفكر الأندلسي منذ بزوغ القرن الثالث في التأثير ببيئته بعد أن تكونت في الأندلس قاعدة عريضة من المعارف والعلوم ومع كثرة الشعراء والمتفننين في كل قول، لكنه وإن كان قد تأثر بهذه البيئة، وبذلك الواقع فإنه لم ينس أصوله ومحبته للمشرق، وهي محبة زرعها (الداخل)، ونمت مع الأيام في الوقت الذي غرس فيه العباسيون الكراهية ضد الداخل، وهي كراهية قد تعدّت إلى كل ما هو أندلسي، لكن الأندلس لم تتأثر بهذا على الإطلاق، بل ظلت دائمة التواصل مع المشرق، فكان التزامها بالتراث يمثل اتجاهًا عامًا لدى شعرائها كشأن شعراء الحجاز والعراق والشام وذلك في جميع العصور[٤٤]، فالالتزام في الأدب وفي شكل القصيدة العربية مثلًا لم يكن لدى شعراء الأندلس حسب، «بل كان الأمر عامًا لدى شعراء العربية في جميع العصور وحيثما كانوا»[٤٥]، ومن هنا كان الاحتذاء واحدًا «فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ..»[٤٦] ..

إن الهموم واحدة بين الشرق والغرب ولا يمكن عزل إقليم عربي عن آخر[٤٧] حتى وإن بعدت المسافات، أو فرقت بينهما الصحاري والبراري والمحيطات، ولأن الحال كهذه، فإننا نجد أن الشعر الأندلسي قد حوى صورًا غريبة على غير العربي لأنه استعارها من القصيدة الجاهلية ثم الأموية فالعباسية، إضافة إلى اهتمامه بجانب التقنية والحرص على دقة اللغة وكمالها مع مباهاة هذا المفكر بمعارفه

اللغوية، بل إن الشعراء نحويون بارعون ومدققون[٤٨]، قال الشاعر أبو الأجرب جعومة بن الصمة الكلابي[٤٩]:

ولقد أراني من هواي بمنزل عال، وراسي ذو غدائر أفرع
والعيش أغيد ساقط أفنانه والماء طيبه لنا والمرتع

وقال الشاعر[٥٠]:

وإذا تساءل عن مواقع معشر وذويهم طلب الذي لم يقدر
رشد الخليفة إذ غووا فرماهم بالموبذيّ الجهم والمتأزر
وغدا سليمان السماح عليهم كالليث لا يلوي على متعذر
غاداهم متقنعًا في مأزق بالموت مرتجس العوارض ممطر
أما سليمان السماح فإنه جَلَّى الدجى وأقام ميل الأصعر
وهو الذي ورث الندى أهل الندى
ومحا مغبة يوم وادي الأحمر
بعدًا لقتلى بالمجانص أصبحت جيفًا تلوح عظامها لم تقبر
فالليل فيها للذئاب فرائس ونهارها وقعٌ لنهش الأنسر
أفناهم سيف مبيد طرفه في قسطلونة بل بوادي الأحمر
فلتركبنك ما هربت مخافة منه، فقع يا ابن اللقيطة أو طِرِ

وإذا كان هناك من يقول: إن هذه الأبيات لشاعرين من الشعراء الطارئين على الأندلس[٥١] فهما قريبا العهد بالصحراء وخشونتها من خلال ما ورثاه، فلنقرأ هذه الأبيات لشاعر عاش في القرن الثامن الهجري[٥٢]:

هذي الحدوج فأين عُفرُ ظبائها هذي البروج فأين زهر سمائها

غربت أولى وتغرّبت هاتى علا أثرٌ لمرآها ولا لروائها
ولقد وقفت على الديار مسائلًا
أطلالها بالعهد عن أطلائها
مترددًا في مثل جسمي في البلى
لولا تباين وجده وشفائها
دِمنٌ محت أيدي الدروس طروسها
لم يبق منها غيرُ وهم بقائها
نؤيٌ تراءى مثل عطفة نونه وأثثفِ التاحت كعجمة ثائها
يا هل تبلغني الجياد منازلًا قلبي نزيل في حمى نزلائها
من كل أشوس للعواصف ينتمي
في مَرّها وكرورها وعدائها
من أشقر كالبرق في ومضاته
أو أشهب كالشهب في أضوائها
ولرب ليلة انطوت مِنّي على مثل الصباح أجول في أرجائها
متبطنًا نهدًا أحمَّ رفعتُ من داجيه ما مزّقت من ظلمائها
متنكبًا زوراء مثل هلالها متأبطًا زرقًا كشهب سمائها
متقلدًا عضبًا كوتر صباحها ضاهت حمائله ثنى جوزائها
أعدو وأخترق المفاورَ مدلجًا أرمى بأنجدها إلى أحسائها
فيح تعاورها الجنائب والصَّبا فنجومها لا يهتدي بضيائها

إن الناظر لهذه الأبيات يحكم بمشرقيتها لأنها لم تتأثر بجمال الأندلس وذلك موضع بالغ الشفافية إذ يتطلب رقّة في القصيدة ،

وسهولة في الألفاظ ، بينما تطالعنا في الأشطار السابقة وتلك ألفاظ (الحدوج ،عفر ، أشوش ، فرقت ، متنكبًا ، متأبطًا ، متقلدًا ... إلخ ذلك) وتلك ألفاظ فيها قوة من حيث المبنى والمعنى ، وقد يقول قائل ، إن الشاعر يحاول - وبلاده في مثل هذه الفترة من الزمن ، والبعد عن المكان الذي انطلقت منه لغة الضاد - يحاول أن يحافظ على لغته العربية ، بيد أنني أقول : إن هناك العديد من الأمثلة لشعراء عاشوا في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وهما يمثلان قوة العطاء الفكري في الأندلس ، بل يمثلان الاستقلالية السياسية والفكرية أيضًا من حيث العطاء الذي يمثل بلاده ، قال الشاعر ابن هانئ الأندلسي في وصف السحب(٥٣) :

ولّما تهادى نكّب البيداء معرضا
وأتاق سَجلًا للرياض فطفّحا
تدلى فخلت الدكن من عذباته
كواسر فتخًا في حفافيه جُنّحا
لتغدُ غواديه بمنعرج اللّوى
موائحَ رقراقٍ من الريّ متّحا
سقَتْه فمّجت صائك المسك حُفّلا
تسحُ وأذرت لؤلؤ النظم نضّحا
فلم تبق من تلك الأجارع أجرعا
ولم تُبق من تلك الأباطح أبطحا

وقال الشاعر (ابن زيدون) مادحًا ، بادئًا مديحه بالعزل ثم النصح كقوله(٥٤) :

هو الدهر، مهما أحسن الفعل مرة
فعن خطأ، لكن إساءته عمد
حذارك أن تغتر منه بجانب
ففي كل وادٍ من نوائبه سعد
ولولا السراة الصِّيدُ من آل جهور
لأعوز من يعدي عليه متى يعدو
ملوك لبسنا الدّهر في جنباتهم
رقيق الحواشي، مثلما فوَّفَ البُردُ
بحيث مقيل الأمن، ضاف ظلاله
وفي منهل العيش العذوبة والبرد
هم النفر البيض، الذين وجوههم
تروق فتستشفي بها الأعين الرُّمدُ
كرام يُمدّ الراغبون أكفَّهم
إلى أبحر منهم، لها باللُّها مَدّ

وإلى جانب تلك الصور الغريبة على غير العرب، والتفنن في اختيار الألفاظ، نجد أن الشاعر الأندلسي وهو يمضي في هذه الطريق يأتي بأسماء أماكن من شبه الجزيرة لتكتمل لديه الصورة المستوحاة من التراث، ولتشكل في أذهاننا صورًا بدوية، إذ نجده يتحدث عن جبال شبه الجزيرة العربية مثل (رضوى) في قول المصحفي(٥٥) :

وإن زمانًا صرت فيه مقيدًا
لأثقل من رضوى وأضيق من رمس

و(ثبير) ، في قول (المعتمد)[٥٦] :

بحيث يطير بالأبطال ذُعْرٌ وَيُلْفى ثم أرجحَ من ثبير

والشاعر قد يأتي بما حول الجبل من نبت الصحراء ، فإذا نحن مع (الغضا) في الشعر الأندلسي ، قال الشاعر[٥٧] :

وفي النفس أشياء أبيت بغمها كأني على جمر الغضا أتقلب

وإذا كان الشاعر قد ذكر الجبل وما يحيط به من نبت ، فإنه قد انتقل إلى ما يتعلق بالإنسان في المكان المشرقي ، فكثيرًا ما يستلهم فيذكر لنا بعض الحكايات والأساطير والأمثال[٥٨] .

إن « فون شاك » كان محقًا عندما قال : إن الشعر الأندلسي يتضمن كثيرًا من الأفكار والصور التي تبدو غريبة عليه ، لأنه لا يستطيع ترجمتها ولأنه كذلك فإنه يحكم عليها « بأنها ذات قيمة ضئيلة جدًا »[٥٩] ، في حين أن العرب يقولون العكس .

إن حكم فون شاك وأمثاله من المستشرقين كان بسبب ضآلة المعجم اللغوي لديهم ، فلغاتهم لا تستطيع أن تستوعب الصور والمعاني التي بإمكان العربي استخدامها ، ومن هنا فإنني أقول :

إن الحكم كان جائرًا بحق الشعر الأندلسي ، فالصور التي حواها والكلمات التي استخدمها ، والاستعارات التي استعملها كانت بمساعدة من قاموسه اللغوي سواء أكان في القرون الأولى أم كان أخر أيام الإسلام في الأندلس ، ألم يقل العقيلي شاعر (ابن الأحمر) من قصيدة خاطب بها والي فاس[٦٠] :

تالله ما أضمرت غشًا ضمائرنا
ولا طوت صفحة منها على سقم
لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت
ولاتنا قبلنا في الأعسر الدهم
فخاننا عنده الحدُّ الخئون ومن
تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا
بالأسمر اللدن أو بالأبيض الخذم
وشتّت البين شملا كان منتظما
والبين أقطع للموصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به
ركب البلا فقرته أدمع الدِّيم

إن الزمن وإن طالت أيامه ولياليه على لسان العربي الأندلسي التي عانت وتعاني من كثرة الأجناس فإنه لم يتأثر، ذلك لأن أهل تلك البلاد خاصة ممن هم من جذور عربية ما زالوا يتوارثونه احتفاءً به، واهتمامًا بلغة القرآن، فقد حافظوا عليها طالما هم يحافظون على دينهم الذي يربطهم بخالقهم.

إننا ونحن نقرأ الأبيات التي بدأناها بأبي المخشي وانهيناها بالعقيلي نجد أن اللغة ما زالت تتوهج في هذه الأبيات لأنها تنضح من معين لم ينضب، لأنه كان عميقًا فما زال التواصل معه طيلة القرون وهو تواصل ينم عن انتماء صادق لروابط تاريخية(٦١) لا عن

تقليد يجعلهم «مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة»[٦٢]، أو كما قال أميليو غرسيه غومس.

صحيح أن مرور الأيام تسلب ما كان، بل تدخل فيه أشياء لم يألفها الجد الذي خلف الحفيد، فنجد أن هذا الحفيد يتعامل بلغة غير لغة جده، وهذا كائن وموجود لدى المجددين الذين ظهروا في الأندلس، خاصة أصحاب الموشحات والأزجال، فهؤلاء تعاملوا مع الفكر بلغة غير لغة أجدادهم، فهي لغة فيها ضعف بل إن فيها ألفاظًا سوقية، كما نجد في خرجة الموشحة، وفي الأزجال وما خلفه (ابن قزمان)، لكن هذا الأمر ليس بمستغرب، فقد كان هذا أيضًا عند دعاة التجديد في المشرق، أما من تأثر من أهل الأندلس بواقعه وبدعاة التجديد، فإنه لاشك قد تعامل مع الأشياء المشرقية كالصحراء مثلًا والبعيدة عن حياته وأرضه تعاملًا عقليًا يخلو من العواطف، وهذا عند المشارقة أيضًا، فقد تعاملوا مع الطبيعة المشرقية تعاملًا عقليًا، في حين أن الأندلسيين تعاملوا مع الطبيعة الأندلسية بالحس والذوق[٦٣]، وفي ذلك فرق واضح، فكيف تعامل المشرقي بعقله مع طبيعة يعيش في أحضانها، فأين حسه وذوقه؟ في حين أن الأندلسي إذا تعامل مع الصحراء بعقله دون حسه وذوقه فإن ذلك لا يؤخذ عليه، بل هو له، لأنه في بعد عنها، ويكتفي بما سمع ويسمع عنها، أو بما قرأ وحفظ عنها، ولأنه قد رسخ في ذهنه الاهتمام بكل ما هو عربي وإن طال به الزمن، أو أبعدته المسافات.

حقيقة إن المشرقي في تعامله مع طبيعة بلاده بعقله يعود إلى جمودها، إذ لا يجد فيها ومنها صدى ولا حسًا وذلك بعكس الأندلسي الذي يجد تفاعلًا صادقًا من كل شئ حوله.

إننا إن عدنا إلى ما استشهدنا به من قبل لشعراء من القرن الثاني والرابع والخامس والثامن للهجرة، نجد أن مسحة البداوة فيها واضحة، وكأننا نعيش مع نصوص انطلقت من الصحراء، ولا من أرض «تعد من خير الأقاليم، وأعدلها هواءً وترابًا، وأعذبها ماء، وأطيبها هواءً وحيوانًا ونباتًا، وهي أوسط الأقاليم ...»[٦٤]، «يشقها أربعون نهرًا كبارًا، وبها العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار، وأزيد من ثلاثمائة من المتوسطة، وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة، حتى قيل: إن عدد القرى على نهر إشبلية اثنتا عشرة ألف قرية، وليس في معمور الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعًا من يومه إلّا بالأندلس، ومن بركتها أن المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء أصلًا، وحينما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاب والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة ..»[٦٥].

قال الشاعر[٦٦]:

للّه أندلس وما جمعت بها
من كل ما ضَمّت لها الأهواء
فكأنما تلك الديار كواكب
وكأنما تلك البقاع سماء

وبكل قطر جدول في جنة
ولعت به الأفياء والأنداء

وآخر(٦٧):

قد مُيِّزت من جهات الأرض ثم بدت
فريدة، وتولىّ ميزها الماء
دارت عليها نطاقًا أبحر خفقت
وجدًا بها إذ تبدَّت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب
والطير تشدو، وللأغصان إصغاء
فيها خلعت عذاري ما بها عوض
فهي الرياض، وكل الأرض صحراء

إن (أدب الصحراء) ليس مجرد موضوع يتعلق بذكر أبيات تقال، أو رسالة تكتب فنلمس فيها سعة الصحراء وما فيها من مفاوز وأصوات وحوش ورياح وفقر وترحال ... وما حوته من صخور وجبال جرد وأودية وبعض شجيرات تخلو من الشوك ... إنه أدب فكر وأدب انتماء. إنه انتماء، إنه أدب أمة واحدة سواء استقرت في الشرق أم في الغرب، والتّميز هنا لمن التزم به على الرغم من بعد بيئته ومجتمعه.

إن هذا اللون من الأدب لا يمثل صراعًا بين اتجاهين (القديم والحديث)(٦٨)، أو تضادًا كالتضاد بين صحراء الشرق المجدبة وأرض الأندلس المخضرة بقدر ما يمثل حقيقة ظاهرة نجدها في شعر الشعراء الأندلسيين، إنه يمثل اتجاهًا وتوجهًا ضرب الأندلسيون به

أروع المثل من خلال احتفاظهم بالأساليب الجزلة المتدفقة والأجواء البدوية والمعاني التقليدية القديمة في قصائدهم[٦٩]، وقد ظهر في شعر الكثير من شعراء الأندلس على اختلاف الأزمنة، مثل شعر (عباس بن ناصح وعاصم بن زيد والحكم بن هشام وحسانة التميمية[٧٠]، وابن عبد ربه وابن هانئ الأندلسي والرمادي وابن شهيد[٧١]، وابن زيدون والقسطلي وابن عبدون وابن وهبون وابن حصن وابن بقي وابن خاتمة الأنصاري والعقيلي وابن الخطيب ...).

أقول: إذا كان هؤلاء الشعراء قد مضوا على طريقة القدامى في المشرق أو بطريقة من عاد للطريقة البدوية (كالمتنبي وأبي العلاء المعري)[٧٢]، فإن ذلك «لا يعني أن طريقة - المحدثين المعتمدة على الاستعارة البعيدة وأنواع البديع والرقة والتأنق في الأسلوب قد تلاشت، (فابن خفاجة) أحد شعراء البارزين قد تمكن من المزج بين التدفق الجزل، والصورة البعيدة»[٧٣]، وهذا فيه دلالة على أن أهل الأندلس «كانوا على وعي مستمر بأن الشعر العربي الذي وصلهم من المشرق يمثل مذهبين: المذهب القديم والمذهب المحدث ...»[٧٤]، ولذلك نجد أن المصادر قد حوت أقوالًا، مثل: هذا جارٍ على مذهب الأوائل، ونظم قصيدة على مذهب العرب، وهذه القصيدة ألفاظها جزلة كثيرة الغريب صاغها الشاعر صوغ فحول العرب ... إلخ. ذلك من الأقوال[٧٥].

إن طريقة العرب لم تكن شيئًا طارئًا على البيئة الأندلسية أو كما قال د. الأنصاري، فلها جذور ضاربة في عمق التاريخ والدليل على ذلك أننا نجد هذه الطريقة منذ دخول طارق بن زياد وحتى سلَّم ابن الأحمر مفتاح غرناطة، بالرغم من ميل طبيعتهم إلى الرقة التي تتماشى مع نسمات الهواء العليلة وانسياب المياه من الأنهار

انسيابًا لا يسمع إلا خريره الخجل، مما جعل بعضهم يزيّن أشعاره ويصيغها بصور تتماشى مع واقعه وإن كانت الطريقة القديمة غير بارحة عن ذهنه، ولهذا نجد أن (ابن سعيد المغربي)[٧٦]، لا يفضل عصرًا على عصر، وأنه إذا كان للأوائل فضل البناء، فإن للأواخر فضل التزيين...[٧٧]، قال: «لله در القائل أن المتقدمين وضعوا أساس البلاغة قويًا وثيقًا تاركين للمتأخرين فضل زركشة البناء وزخرفته ...»[٧٨]، وهذا ما جعل (فون شاك) وهو يتحدث عن الشعراء أو الشعر في الأندلس يقول: «إن الشعراء جميعهم يحرصون بدرجة تقل أو تكثر على التقاط استعارتهم وتشبيهاتهم من مهابط بعيدة جدًا، إلى جانب ألوان غريبة من الطباق والمقابلة وتعبيرات أخرى مغالى فيها ..»[٧٩].

إن فون شاك يقصد تلك الصور والتشبيهات المأخوذة من المشرق تمثلًا لا معايشة كما نجد عند الشاعر (ابن العريف) الذي يقول[٨٠]:

قفا وقفة بين المحصّب والحمى نصافح بأجفان العيون المغانيا
ولا تنسيا أن تسألا سَمُرَ اللوى متى بات من سُمْر الأسنة عاريا
فعهدي به والماء ينساب فوقه سماءً وماء الوردَ ينساب واديا
كَأنَّ فؤادي في فم الليث كلَّما
رأيت سنا برق الحمى أو رآنيا
أقام على أطلالها ضوء بارق
من الحسن لا يبقي على الأرض ساليا
سلام على الأحباب تحدوه لوعة
من الشوق لم يفقد من البين حاديا

فعلى الرغم من أنه من رجال القرن السادس الهجري، إلّا أن الطريقة القديمة لم تبرح عن ذهنه، منها ذكر الأماكن (المحصب والحمى)، وذكر الأطلال، ومع ذلك لم ينس تأثيره بواقعه وبعصره وقد ظهر ذلك في الصور المأخوذة من بيئة (الماء والورد) وما أكثرهما في بلاده.

إن تأثر الشاعر بالطريقة القديمة المعروفة لدى عرب الجزيرة قد ظل متواصلًا تواصل هذا العطاء الذي لم ينقطع طيلة بقاء الإسلام على تراب تلك الأرض، فهو القائل في أخرى(٨١):

يا راحلين إلى المختار من مضر   زرتم جسومًا وزرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على شوق وعن قدر   ومن أقام على عذر كمن راحا

فالأندلسي قلبه معلق بالمشرق يستوي في ذلك من له رغبة في الذهاب إلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة ومن تعلق قلبه بالفكر، على أن تعلقه بهذا الفكر ومزجه بين الطريقتين (القديمة والمحدثة) قد يكلفه، فيأتي بصور مكلفة، ولعل في هذا دلالة على حبه للقديم ورغبته في التجديد، قال (ابن عبد ربه)(٨٢):

يا ذا الذي خط الجمال بوجهه   خطين هاجا لوعةً وبلابلا
ما صَحَّ عندي أن لحظك صارم
حتى لبست بعارضيك حمائلا

فوصف اللحظ بالسيف الصارم فيه تكلف، كما أغرق في ذلك فجعل العذارين حمائل للسيف(٨٣)، وهذا ما جعل فون شاك يقول ما قاله عن الشعر الأندلسي، لكنه من خلال تركيزه على هذه الجزئية لم يركز على الجزئية الأخرى التي تكشف قدرة الأندلسيين على الإتيان بالصور البديعة غير المتكلفة، قال الشاعر نفسه(٨٤):

وتصدت فأشرق الصبح منها   بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم   بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أفظع يوم   ليتني مِتُّ قبل يوم الفراق

إن في هذا المزج بين الطريقتين (القديمة والجديدة) لدى (ابن عبد البر) وأمثاله من الشعراء الأندلسيين أمثال (ابن عبدون وابن وهبون)، وغيرهما كثير لدلالة على السير على المنهج الذي سار فيه (المتنبي وأبو العلاء) «،هما اللذان ارتدا إلى المعين البدوي ومزجا ما اغترفا منه بالتجربة العميقة- والآراء الفلسفية»[٨٥]، وهذا الأمر ينفي ما قاله (غومس) من أن الشعر الأندلسي قد تأثر ببراعة المتنبي لا بتفكيره، ولأنه كذلك فقد عاش مكبلًا بقيود القوالب الشكلية الجامدة[٨٦].

إن الشعر الأندلسي لم يكن بهذه الصورة، ولكنه كما قال الشاعر[٨٧]:

رقيق كما غنت حمامة أيكة   وجزل كما شق الهواء عقاب

فالرقة أخذها من بلاده والجزالة توارثها عن جدوده، والطريقتان قد اختلطتا مع بعضهما البعض فكان الشعر الأندلسي قد مثل الشعر المشرقي، كما مثلت أرضه تلك البلاد، فكان والحالة هذه خير مثال نتبين من خلاله ما كان في المشرق، وما جاء هذا إلا لبعده وبعد بلاده، فاستطاع الأندلسي بعقله المفكر سواء أكان أديبًا أم عالمًا أن يتقمص ما كان في أرض جدوده لينقله ليتساوى في هذا مع الجغرافي الذي أخذ أحسن كل شئ من الشرق ونسبه لبلاده.

إن هذه الطريقة تنفي العنعنة التي تلغي الإبداع وتمسخ شخصية المبدع ولكنها تثبت أن التمسك بالجذور من أخلاقيات العربي مهما

تطاول عليه الزمن، أو أبعدته المسافات، كما ثبت أنه لم ينس نفسه وبلاده، ولأنه كذلك فإنه لا يمكننا أن نحلل الشعر أو النثر إلى عناصره الأولية ونقول هذا أخذه من تراث جدوده وذاك ابتكره بنفسه، أو استوحى فيه أرضه ومجتمعه، فالعنصران قد تشابكا مع بعضهما البعض تشابك اللحمة مع السدى، على أنه ينبغي أن نعرف أن الجيل اللاحق الذي ظهر على تراب الأندلس سواء أكان عربيًا أم ثقافة عربية[٨٨] قد وجد نفسه تقترب كثيرًا من الشعر المحدث الذي ظهر على تراب المشرق لأنه وجد فيه سبيلًا للتعبير عن مرحلة حضارية يعيشها هو[٨٩]، كما وجد فيه مدخلًا للتعبير عن مؤثرات تلقاها في صغره ووجهته في طرائق تعبيره[٩٠].

وإذا كان ذلك عن الشعر، فإنه ينبغي أن نعرف أنه قد جرت جميع الأشكال النثرية في أكثر أحوالها على نظام السجع والتفنن في ضروبه..[٩١]، وهذه طريقة مشرقية عدا بعض الحالات التي نجدها عند (ابن حيان وابن زيدون وأحمد بن عباس)[٩٢]، على أن هذا الأمر ينطبق خاصة على الرسائل الديوانية فنجده في أسلوب «فرسان الحياة السياسية»[٩٣]، أمثال: (ابن عبدون وابن الجد وابن القصيرة وابن أبي الخصال)، قال ابن أبي الخصال في رسالة من رسائله: «... بعد أن نمى إلينا وتقرر لدينا أن المجهول ابن أضحى أجهل بأحكام القضاء من العلجوم إذ قد أظهر فيكم أحكامًا يترحم فيها على سدوم، وقد جعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم، وقلدناه خطة الشوم، ونبذناه دون أن تداركه نعمة من ربه بالعراء وهو مذموم ...»[٩٤]، كما ينطبق على المقامات والخطب[٩٥].

على أن الأندلس لم تنس نفسها، فقد ظهرت من خلال رسائل اختطت خطًا جديدًا تمثل في الأسلوب المرسل والمذكرات، وتصوير الشخصيات[٩٦]، والأقوال والحكم التي انطلقت من خلال تفكير

ذاتي، على أن هؤلاء الذين حاولوا الاستقلالية لم ينسوا أصولهم فكان شأنهم في ذلك شأن الشاعر الذي زاوج بين التقليد والتجديد.

إن أدب الصحراء غير مستغرب في الأندلس للمسببات التي ذكرناها من قبل، ولأن لغة أهلها هي اللغة العربية «،العربية في أساسها لغة أقوام بداة فجاء كثير من مفرداتها ممثلًا لحياة البادية ...»[٩٧]، وقد ظهرت تلك المفردات في الشعر والأدب بشكل عام كما لو كانت جزءًا من حياة ذلك المفكر أو الأديب، إذ نقع على كلمات مثل (الديار والربوع والنيران والشتاء والصقيع والمفاوز والإبل والسّراب والطرد والحيّات والخيل والسيوف والرماح والقسي والنبال والدروع والرايات والحرب والطعان والكرم والشجاعة والنبل، والسماحة، كما نجد ألفاظًا مثل الشيح والرند والبان والعرار والغدران.. الخ ذلك)[٩٨]، كما إننا قد نقع ونحن نلمح ما خطه اليراع الأندلسي على الكثير من التشابيه والاستعارات وضروب المجاز والكنايات والأمثال وقد استعين بها للتعبير عن بعض المعاني الحضرية، وهي مستمدة من حياة البادية أصلًا[٩٩].

إن أدب الصحراء الذي ظهر على تراب الأندلس كان قد تمثل في معايشة الواقع وظهر ذلك لدى جيل الفتح ومن رحل إلى المشرق وعاد إلى الأندلس، أو من رحل من المشرق بعد الفتح وعاش في الأندلس، كما تمثل في مرحلة أخرى نقلت ذلك الواقع المعاش إلى الفكر، وقد تمثل هذا الاتجاه لدى الجيل اللاحق الذي عاش في الأندلس ولادة وحياة، ولم يشاهد الصحراء ولم يعايش الأجواء فيها، فكان أدب الصحراء لديه لا يمثل أدب البدوي وما حوله من خيمة وجمل وبواد، بل يمثل نقلة حضارية أخرى تتعلق بحبه لمكان قد كان لجدوده، أو لمكان انطلقت منه العلوم فتعلم

العربية منها، ووقف على العلوم الوافدة منها، فكان شأنه في ذلك شأننا في هذا العصر ونحن نعيش في الحضارة، إذ نستخدم ألفاظًا مستمدة من الصحراء والبادية، فنحن نقول: «مُرّ كالحنظل»، أو «أمرّ من الصبر»، والغالبية منا لم تر الحنظل، وكلنا لم نذق الصبر[١٠٠] !!.

إن العربي بطبعه سواء أكان في المشرق أم في المغرب لا يستطيع أن يتخلص من أثر البداوة في الكثير من أدبه خاصة إذا كان شاعرًا، ذلك لأن نفسه عالقة به كتعلق الصخرة بمكانها، والرمال بصحرائها، والخضرة بالعيون والأنهار، إنها حالة نفسية، حالة حنين، قال أحد الشعراء في هذا العصر مستهلًا إحدى قصائده[١٠١] :

ألم تعلم العيس إذ يحدو بها الحادي

إن السرى أضلاع وأكباد

وذلك بالرغم من عيشه في قمة الحياة الحضرية، فلم يركب جملًا، ولم يعايش أشجار الشوك والحنظل، ولا الخيمة، بل عاش القصور، وركب السيارات.

إن هذا الشاعر يعيش في القرن الخامس عشر الهجري، فكيف بمن عاش قبلنا بسبعة قرون إذا كان من العهود الأخيرة في الأندلس أو بمن عاش قبل هذه الفترة.

إن تعلقه بالصحراء أكثر من تعلقنا نحن، ذلك لأنه قد عايش الصحراء أكثر من معايشة:

* معايشة عن واقع كان من قبل.
* معايشة فكر[١٠٢] .

* معايشة واقع بعد دخول المرابطين الأندلس ومن ثم تهجير الكثير من العلماء والأدباء إلى بر العدوة، ثم عيشهم في تلك البلاد إبان العهد الموحدي، وعودة بعضهم وهو يحمل ذكريات، فكان أن عادت الكرة للصحراء، عن معايشة وعن فكر حتى سَلَّم ابن الأحمر ذلك المفتاح الذي انكسر، ثم أعلن عن نهاية الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس، لكن بقاء كلمة (لا إله إلا اللّٰه) باقية ما بقي الزمن إذ ما زال الناس يرددونها في تلك البلاد خاصة ممن سموا بالموريسكيين.

الموضوعات:

إن الدارس للأدب الأندلسي يجده في موضوعاته أشبه بكتاب جمع بين دفتيه اتجاهين، هما:

* الالتزام بالأدب الذي قد كان من قبل لدى الجدود.

* التأثر بالواقع المعاش، وبالبيئة التي نشأ عليها هذا الأدب أو ذاك.

وهما اتجاهان أثرا في الأدب الأندلسي خاصة الشعر، فالشاعر قد تأثر بشكل القصيدة العربية وموضوعها دون مضمونها [١٠٣]، فالمضمون خاضع لواقعه وواقع حاله، أما الشكل، والموضوع (كالغزل والمدح والرثاء والهجاء والوصف.. الخ)، فهو خاضع لتأثر فكره بما قد كان أو بما علق به من قاعات الدّرس والتحصيل وقراءة الكتب، ومقابلة العلماء، وهذا الأمر ليس بمستغرب، «فقد كان اتجاهًا عامًا لدى شعراء العربية في جميع العصور وحيثما كانوا على أساس أنه جزء من تراثهم العربي الذي يعتزون به، ويحافظون عليه، ويضعونه فوق كل اعتبار فني، وليس في هذا الالتزام ما

يعيب الأندلسيين. أو يعيب غيرهم من شعراء العربية لأنه التزام نابع من رغبة لا شعورية بالارتباط الدائم بكل ما هو عربي ...»[١٠٤].

إن أدب الصحراء في الأندلس قد تمثل لنا في شكل القصيدة وفي موضوعاتها فكان يمثل نتاجًا من نوع آخر غير شعر الغزل والمدح... إلى غير ذلك من الموضوعات التقليدية. إنه يمثل أدبًا عربيًا أظهر لنا ما بلغت به الوحدة في اللسان العربي يستوي في ذلك شرق البلاد الإسلامية وغربها، إذ نجده لدى شعراء بغداد والشام والحجاز والأندلس على الرغم من اختلاف البيئات، وتأثر الشاعر بما هو فيه، من واقع وحياة الناس..، وما جاء هذا التأثير إلّا من خلال صدق الانتماء الذي جعل من هذا الأديب أو ذاك صورة لهذه الحياة، وما الحياة إلّا حقيقة اجتماعية واقعة[١٠٥].

ولأن الإنسان في هذه الحياة ما هو إلا مجموعة عواطف، فلابد له والحالة هذه عن متنفس يعبر بواسطته عن تلك العواطف، وهذا ما نجده في الشعر والنثر الأندلسيين اللذين كانا صورة للقائل وللكاتب، مما جعل الأدب مرآة لكل ما اضطربت به الأمة في تلك البلاد[١٠٦].

وإننا إن نظرنا في موضوعات هذا الأدب نجدها قد اتسمت بسمة الصحراء، فإذا كانت الصحراء تجمع بين اللين والغلظة[١٠٧]، فإننا نجد هذا الأدب يجمع في موضوعاته بين متضادين:

* قوة

* وضعف

فأما (القوة)، فقد جاءت عن طَبْع طُبع عليه الأديب من خلال مجموعة موروثات ورثها عن آبائه وجدوده أو هو قد عايشها من

قبل أو أن الحياة قد صبغته بهذه الصيغة نتيجة لكثرة الفتن، ومعايشة الحروب ومعاناتها مما جعل ابن حزم يقول: إنهم تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها[١٠٨]، كما وصف أهل الأندلس «بقلة احتمال الذل...»، وبالإباء وعلو الهمم، ولذا نجدهم «أهل جهاد متصل..»[١٠٩]، ولأنهم كذلك فهم أهل شجاعة وقوة[١١٠]، على أن الأندلسي قد كان مثاليًا ومتسامحًا، فقد كان يرحم الضعيف ويرفق بالمغلوب، ويقف عند شروطه أو كما قال جوستاف لوبون[١١١]، وهذه أخلاق العربي في باديته وحاضرته لأنه على دين واحد، ولا علاقة للبيئة في هذه الصفات بل هي جزء من جزئياته التي لا ينفك عنها طالما هو مسلم، فلابد أن تكون صفاته على وتيرة واحدة سواء أكان في شرق الكرة أم في غربها، وسواء أكان في صحراء أم في خضرة دائمة، على أن الشخصية الأندلسية قد زادتَ على غيرها من خلال قدرتها على التعايش مع المحيط الذي تعيشه[١١٢]، فقد استطاعت أن تكيف نفسها مع عناصر عديدة من أجناس أخرى، فكان تسامح هذه الشخصية هو الذي بهر الأجناس الأخرى، إذ وقفت صاغرة أمام لغة العرب ودينهم، فكان الدين بعد مدة وجيزة هو الدين الإسلامي، وكانت العربية هي لغة الأجناس وضياع اللغات الأخرى أمامها، لذا، فإن هذه الشخصية إذا كانت بعيدة في نمط عيشها عن نمط العيش البدوي[١١٣]، إلّا أن وسائل التعبير لديها بقيت هي هي، كما هي في الشرق، فكان ادبها استمرارية لمكان الجذور، ولكنه يمثل حقيقة الأندلس الجديدة التي فرضت على هذا الأديب أو ذاك من خلال معايشته للواقع وللحياة وللناس.

إن من صفات الشخصية الأندلسية[١١٤] القوة والتسامح في غير ذل، وكذلك الرقة، وقد استفاد هذه الصفة من واقع بيئته

الجميلة[١١٥]، كما استفادها من خلال معايشته للمسيحي أو الأسباني، والمسيحي فيه رقة[١١٦]، ويكفينا للدلالة على هذا التعايش بين القوة والرقة أن سكان (قرطبة) كانوا نصفين بين عرب وعجم[١١٧]، عاش بعضهم مع بعض فتأثر هؤلاء بأخلاق أولئك وبالعكس.

إننا نجد أن الشخصية الأندلسية قد جمعت في ذاتها صفات متضادة كما جمعت الصحراء بين اللين والغلظة، وهذا في الواقع يرشدنا إلى صحة ما تناولناه ونتناوله من أن في الأندلس أدبًا صحراويًا كما هو في المشرق، كما يرشدنا هذا إلى ما قاله (ابن سيناء) عن الشعر وأنه تخييل « ،التخييل في تصوره مرادف للمحاماة قرين لها، وأن الأقاويل المخيلة هي الأقاويل المحاكية، والأقاويل المحاكية هي التي تقوم على محاكيات للأشياء بأشياء، ومن شأنها أن توقع تلك التخييلات فيحاكي الشجاع بالأسد والجميل والجواد بالبحر...، على أن المحاكاة الشعرية، لا تقتصر على تناول مادة الطبيعة خارج الإنسان، وإنما تتناول إضافة إلى ذلك عالم الإنسان الداخلي ..»[١١٨].

إن الأندلسي إذا كان بعيدًا عن جو الصحراء، فإنه قد حاكى ذلك الجو من خلال موضوعات تعبر عن انتمائه لما كان عليه جدوده من قبل، أو من خلال واقع الحياة التي يعيشها هو، وهذا الواقع، وذاك الانتماء قد ظهرا في فكره، فجعلانا وكأننا نعايش أجواء البادية في الأندلس، فإذا كان البدوي في صحرائه قد اتصف (بالشجاعة وبالهيبة وبالإقدام وبالعفة وبالكرامة وبالتسامح وبالصبر وبالألفة وبالكبرياء وبالثأر)، فإننا نجد كل ذلك في العربي في الديار الأندلسية مما يدل على اتصافه بهذه الصفات وأن الحضارة التي عاشها لم تؤثر فيه، ولم تصرفه مسببات اللهو فيها عن هذه

الأخلاق، قال (ابن غالب): «إن أهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة - بما في أيديهم، والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنيّة»(١١٩).

قال شاعرهم معبرًا عن الشجاعة(١٢٠):

أكرّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

وقال آخر(١٢١):

رميت بنفسي هول كل عظيمة
وخاطرت، والحر الكريم يخاطر

وما صاحبي إلا جنان مشيّع وأسمر خطيٌّ وابيض باتر

وهذا آخر يقول وهو في المعركة(١٢٢):

أبا هاشم هشمتني الشّفار فللّه صبري لذاك الأوار

ذكرت شخصيتك ما بينها فلم يثنني حبُّه للفرار

وقال آخر عن الصبر وقد صبر على مصاعب الحياة(١٢٣):

اصبر فلست ترى على أحد حماه الصبر عارا

وقال آخر داعيًا إلى حماية من يستحق الحماية(١٢٤):

إليك أبا العاصي نضيت مطيتي
تسير بهم ساريا ومنهجرا

تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا

فأنف الأمير، وأغاث النساء، ثم قال رادًا عليه(١٢٥):

آلم تر يا عباس أني أجبتها على البعد أقتاد الخميس المظفّرا

فأدركت أوطارًا وبردّت غلة ونفّست مكروبًا وأغنيت معسرا

وكان أهل الأندلس يأخذون بثأر ، فقال حسام بن ضرار[١٢٦] :

فليت ابن حواس يخبَّر أنني سعيت به سعي امرئ غير عاقل

قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صرعت بالمسايل

ولو كانت الموتى تباع اشتريته بكفّي وما استثنيت غير الأنامل

كما كانوا أهل كرم ، ويكفينا ما قاله (ابن اللبانة) عن المعتمد ومن حوله[١٢٧] :

بنفسي وأهلي جيزة ما استعنتهم

على الدهر إلا وانثنيت معانا

أراشوا جناحي ثمَّ بلوه بالنّدى فلم استطع من أرضهم طيرانا

كما أن من أخلاقهم العفة ، قال شاعرهم[١٢٨] :

وطائعة الوصال عففت عنها وما الشيطان فيها بالمطاع

بدت في الليل سافرة فبانت دباجي الليل سافرة القناع

وما من لحظة إلّا وفيها إلى فتن القلوب لها دواعي

فملّكت النُهى جمحات شوقي

لأجري في العفاف على طباعي

وعن حفظ حق الجوار ، قال الشاعر[١٢٩] :

وما خيّم المجد إلّا في منازلنا فليس يعدلنا في الأرض من أحد

إذا بلوتَ ، فأخلاق مهذبة وإن سألت ، فبذل من فم ويد

من كل مكرمة فزنا بأوفرها حفظ الجوار لنا والأخذ بالقود

لنا نفوس عن الجارات معرضة وفي التقى لأفاعيهن بالرصد

إن الأديب الأندلسي قد استطاع نقل ذلك الواقع الذي عاشه هو، أو عاشه جدوده من قبل، إلى واقع فكري فكان أثر (البادية) في القصيدة الأندلسية واضحًا ذلك لأن مبدعها قد تأثر بها من قبل، ولعل من أهم أثارها أن لحظنا فيها موضوعات هي من روح البادية، وهي موضوعات دارت كلها حول (الوصف) كموضوع عام نجد خلاله :

* ذكر الطلول .
* ذكر الرحلة والتشوق وما يتعلق بهما .
* الإعتداد بالذات وبالبلاد .
* ذكر الأماكن والديار .
* ذكر الأزمنة وما تحدثه .

إننا إن تتبعنا الموضوعات، وذكرنا نماذج لكل موضوع لطال بنا المسار، لذا سنكتفي بضرب بعض الأمثلة على النحو التالي :

الأطلال والرحلة والتشوق :

الأطلال عند الأندلسيين تمثل انتماءين للجذور وللمكان المعاش، فأما الجذور، فكقول الشاعر(١٣٠) :

ربع تربّصت النجوم لأهله ورماهم ريب الزمان فقرطسا
فكأنه مما تقادم عهده ربع امرئ القيس القديم بعسعسا

وقال في أخرى وهو واقف على الطلل(١٣١) :

فبقيت في العرصات وحدي بعدهم
حيران بين معاهد ما تُعهدُ
فكأنهن ديار مي إذ خلت وكأنني غيلانُ فيها ينشد

وهناك من وقف على الطلل وهو يحن لأحبابه دون تحديد لمكان محدّد بقدر ما يمه أولئك الذين رحلوا[١٣٢]:

وقفت على الربوع ولي حنين   لساكنهن، ليس إلى الربوع
ولو أني حننت على مغاني   أحبائي، حننت على ضلوعي

وهناك من الشعراء من يتساءل عن هذه الطلول وكأنه قد تفاعل معها كذكرى، قال الشاعر[١٣٣]:

لمن طلل دارسٌ باللّوى   كحاشية البرد أو كالرّدا
رماد ونؤي ككحل العروس   ورسم كجسم براه الهوى
غدا موسمًا لوفود البلى   وراح مراحًا لسرب المها
عجبت لطيف خيال سرى   من السدر أنى إليَّ اهتدى
وكيف تجاوز جوز الحجاز   وجوز الخميس وسدر المنى
ولم يثنه حرُّ نار الضلوع   وبحر الدموع وريح النوى
فذكّر أيامنا بالعقيق   وليلتنا بهضاب الحمى

إن الشاعر قد وصف الأطلال والأماكن المشرقية[١٣٤] كمقدمة لقصيدة هدف من ورائها إلى مدح المنذر بن يحيى صاحب سرقسطة، والتي منها قوله[١٣٥]:

إذا سار يحيى إلى غارة   فويل لأعدائه أينما
بجيشين: جيش يهدُ الربا   وجيش يظلله في الهوا
مطاعمها من شغاف القلوب   ومشربها من نجيع الدّما

على أن حالة الوقوف على الطلل قد تحولت لدى الأندلسيين إلى ما يشبه الموضوع الفلسفي نظرًا لتأثر الشاعر بالمدارس المشرقية الفلسفية بما حوته من غلو في التصوير وغموض في اللفظ، كما

نجد ذلك عند الشاعر (محمد بن أحمد بن قادم) المتأثر بمدرسة (أبي تمام) في الصنعة، إذ يقول[١٣٦]:

قف بربع البلي وربع الهموم واسفح الدمع فيه سفح الغيوم
غيّرت آيةُ صروف الليالي ومحاها الغمام محو الرقيم
ساءما اعتاض بالسحائب من نبت المعالي بمنبت القيصوم
فالأسى حين يعدم الشئ محمو
لٌ على قدر جوهر العلوم

إن الطلل قد يكون مدعاة لذكر محدد، هذا المكان قد يكون مشرقيًا، كما لحظنا بعضه مما سبق، وقد يكون أندلسيًا - ليمثل بقايا المدن المخربة على أيدي النصارى أو بسبب الفتن الداخلية، قال (ابن شهيد) راثيًا (قرطبة) إثر الفتنة البربرية[١٣٧]:

ما في الطلول من الأحبة مخبر فمن الذي عن حالها نستخبر
لا تسألن سوى الفراق فإنه ينبيك عنهم أنجدوا أم أغوروا

على أن (قرطبة) لم تكن الوحيدة التي خربت وتحولت إلى أطلال، فقد كانت الزهراء مثلها، حيث وجد على أحد جدرانها:

ديار بأكناف الملاعب تلمع
وما إن بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب
فيصمت أحيانًا وحينًا يرجع
فخاطبت منها طائرًا متغردًا
له شجن في القلب وهو مروع

فقلت على ماذا تنوح وتشتكي
فقال: على دهر مضى ليس يرجع

وكذلك (البيرة)، فقد قال عنها الشاعر(١٣٨):

أتندب أطلال البلاد ولا يرى للبيرة منهم على الأرض، نادب
فآها الوفا تقتضى عدد الحصا
على عهدها ما عاهدتها السحائب

ثم قال بعد ذلك:

تساءلت عنهم رسمها فأجابني
«الأكل شئ ما خلا الله ذاهب»

على أن الفتن في الأندلس قد تعدّت إلى الأشخاص فحولت ممالكهم إلى ما يشبه الأطلال البائدة وذلك أثر دخول المرابطين، قال الشاعر(١٣٩):

نسبت إلّا غداةُ النهر كونهم في المنشآت كأموات بألحاد
والناس قد ملأوا الصبر واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق أزباد

فوقوف الناس على حافتي النهر وهو يودعون ملكهم وحاشيته الذين كبلوا بالقيود أشبه بأشخاص أو بشخص يقفون أو يقف على طلل بائد لم يبق إلّا أثاره، فآثار آل عباد باقية، أما هم فقد ذهبوا.

لا عطر بعد عروس في حديثهم
قد أقفر الحي من هند ومن عاد

وهذا آخر يقول(١٤٠):

الدهر يفجع بعد العين بالأثر
فما البكاء على الأشباح والصور؟

أما المدن المخربة بفعل النصارى فهي كثر، وقد كفانا مؤونة ذلك تلك البحوث التى كتبت في رثاء المدن والممالك الأندلسية.

إن هذا الجو الطللي قد قاد الشاعر الأندلسي إلى البادية وجوها الحافل بالغزلان ورحلة الجمال(١٤١)، قال أحدهم(١٤٢):

أفي كِلَلِ الاظعان غزلانُ رملة أم احتملت فيها جآذر وجرة
ولمَّا تولَّت بالجمال جمالهم تولى جميل الصبر تولت
بوادي الكرى لاقيتها وهي عاطلٌ
فأرسلت درَّ العين حين تجلت
إذا نسمت ريح الصبا في جنابها
ستعرف في أنفاسها حَرَّ لوعتِي
وإن وردت ماء الفرات فإنها ستنكر في سلسالها طعم عبرتي

وقال آخر واصفًا رحلته إلى الممدوح، وقد امتطى ظهر ناقته، «لينقل لنا جوًا صحراويًا في نغمة جزلة بدوية(١٤٣)»:

إليك ترامت بي قلوص كنبعة معطَّفة في دفِّها والحيازم
لعوبٌ إذا رقصُ السراب استفزها
بيض الأداحي في النقا المتراكم
تباري الصبَا في سيرها فكأنها جبان تولى في غبار الهزائم
وما راعها إلَّا الزمام تظنه إذا ما تدلى حية في المخاطم

وإذا لم يكن الشاعر يملك ناقة ولا جملًا، فإننا نجده يتحدث عن الرحلة في شعره لشعوره بفراق الأحبة[١٤٤]:

غدًا يرحلون فيا يوم رس لك كن بالظلام بطئ اللحاق
ويا دمع عيني سد الطريق وأفرغ عليهم نجيع المآقي
ويا نفسي جئهم من أمام وقابلهم بنسيم احتراق
ويا هم نفسي بهم كن ظلامًا وقيدهم عن نوى وانطلاق
ويا ليل من بعد ذا إن ظفر ت بالصبح فاقذف به في وثاق

وهذا آخر، وهو ضرير لكنه قد تأثر بما حوله من واقع فكري فأنشد قائلا[١٤٥]:

لم يرحلوا إلّا وفوق رحالهم غيم حكى غبش الظَّلام المقبل
وعلت مطارفهم مجاجات الندى
فكأنما مطرت بدُرٍّ مُرسل
لما تحركت الحمول تناثرت
من فوقهم في الأرض تحت الأرجل
فبكيت لو عرفوا دموعي بينها لكنَّها بشكل مشكل

وقال آخر[١٤٦]:

أزف الفراق وفي الفؤاد كلوم ودنا الترحل والحمام يحوم
قل للأحبة كيف أنعم بعدكم وأنا المسافر والفؤاد مقيم

والرحلة من قبل الأحباب تجعل الشاعر يطرق كل الأسباب لمحاولة إيقاف هذه الرحلة، قال ابن أبي روح فى هذا المعنى[١٤٧]:

إذا بلغت الحمى أو وادي العسل
فقف قليلًا به يا حادي الأبل
وقل لقاتلتي ظلمًا بلا قود هلا رحمت قتيل الأعين النجل

وبعض الشعراء يمضي مع الرحلة، ويتجه للنصح فيقول:[١٤٨] :

ماذا أقول وقد كلت ركائبنا
من السُّرى وارتكاب البيد في البكر
يا نائمين على الأكوار ويحكم
شدوا المطي بذكر الله في السحر
أما سمعتم بحادينا وقد سجعت
ورق الحمائم فوق الأيك والسمُرِ

وإذا كانت الأطلال قد مثلت تعلق الشاعر بمكان ما، فإن الرحلة قد مثلت متنفسًا آخر وجد فيه الشاعر سبيلًا للتعبير عن فراقه، وهذه حالة معروفة ومألوفة عند شعراء المشرق أولئك الذين كابدوا رحلة الصحراء ومشاقها، على أن الشاعر الأندلسي لم يتوقف عند هذا الحد، فقد وظف الرحلة والتشوق في قصيدته، مثله في ذلك مثل المشرقي، وهذا لا يعد تقليدًا له، بل شيئًا يعبر به عن مكنون نفسه يربطه بعروبته وبالأرض التي انطلقت منها جذوره، كما يعبر عن التزام لا يقتل الإبداع[١٤٩]، فنجد (ابن الخطيب) يبدأ قصيدة من قصائده بقوله[١٥٠] :

عسى خطره بالركب يا حادي العيس
على الهضبة الشماء من قصر باديس

لنظفر من ذاك الزلال بعلة
ونَنعم في تلك الظلال بتعريس
حبست بها ركبتي فواقًا وإنما
عقدت على قلبي لها عقد تحبيس
وقد رسخت آي الجوى في جوانحي
كما رسخ الإنجيل في قلب قسيس

وهناك من الشعراء الأندلسيين من وظف (الغزل) باعتباره مقدمة لقصيدته ، فهاهوذا الرمادي قد قال مرحبًا (بالقالى) وبادئًا قصيدته بقوله(١٥١) :

من حاكم بيني وبين عذولي الشجو شجوي والعويل عويلي
أقصر فما دين كفرٌ ولا أعتدّ لومك لي من التنزيل
عجبًا لقوم لم تكن أذهانهم لهوى ولا أجسادهم لنحول
دقت معاني الحب عن أفهامهم
فتأولوه أقبح التأويل
في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتكيل
إن قلت في عيني فثم مدامعي أو قلت في قلبي فثم غليلي

ولأحد شعراء الأندلس قصيدة في مدح الملك بدأها بما بدأ به الرمادي(١٥٢) :

وما محنتي في الحب غير غريرة
هي البدر في ليل الذوائب طالع
يَقُدّ فؤادي قَدَّها وهو ذابل على أنّه غصن من البان يانع

وتجرح أحشائي بعين مريضة
كما لان متن السيف والحدّ قاطع
خضعت لها في الحب من بعد عزتي
وكل محبٍّ للأحبة خاضع

ثم قال بعد مقدمته هذه :

هو الكامل الأوصاف والملك الذي
تشير إليه بالكمال الأصابع
لبيض أياديه الكريمة في الورى قلائد في الأعناق هنَّ الصنائع

وهناك من بدأ المدح بالمقدمة الطلليّة ، كما نجد عند الشاعر (ابن مسلمة)[١٥٣] :

ما دارهم بمجيبة أطلالها فاستجر دمعك لن يفيد سؤالها
أعيتك دراسة سطا بجديدها كرَّ الجديد فأشكلت أشكالها
والدار تلك وإنما بك لوعة ألقاك في ليل الشكوك ظلالها
يا دار وادي الشط من أعلى القُرى
هطلت عليك من الغمام ثقالها
عهدي بدَوحِكِ وهو يخطر من قنًا
والسراب وهو الجياد رعا لها

إن الوقوف على الأطلال ومن ثم توظيفها في القصيدة الأندلسية ، وكذا الرحلة وما يصاحبها من شوق وعناء وما يستخدم فيها من جمال ، وما ترمقه العيون من غزلان ، وما يستخدم في تلك الرحلة من أدوات ، إن ذلك كله لم يكن في عصر دون آخر ،

بل إن الديوان الأندلسي قد حوى ذلك كله والشواهد في ذلك كثيرة، ولعل فيما ذكرناه يعد بالنسبة لهذه الجزئية كافيًا، على أنه ينبغي أن نعيد ونكرر أن توظيف كل هذه الأشياء المألوفة لدى المشارقة كان في الأندلس من جانب الانتماء الصادق، لا من جانب التقليد، ودليلنا على هذا أن القرن الثامن الهجري في المشرق قد حمد فيه الشعر، بينما الشعر في الأندلس كان متوهجًا بوجود كوكبة من المجيدين كالخطيب وأضرابه ومن معهم من تلامذتهم وقبلهم من أساتذتهم، ومع هذا التوهج فما زالوا يذكرون الأطلال، ويلتزمون بالمقدمات التقليدية في قصائدهم، على الرغم من وجود الأدوات الإبداعية لديهم، فهم يملكونها ويتصرفون فيها كيفما شاءوا، فالشعر عندهم شعر تلقائي، يقوله الشاعر منهم بلا تكلف ولا غلو، ولكنه مع ذلك لم ينفك عن أصوله اعتقادًا منه «أن الانفصال عن الجذور يعني الجمود والركون إلى العزلة وفقدان الحياة، وأن فقدان الاحتكاك بين الآداب معناه فقدان التطور والتجدد ...»(١٥٤).

الفخر والمدح (الاعتداد بالذات):

نحن نعرف أن من أخلاق البدوي في صحرائه الشجاعة والإقدام، فتحول هذا الإقدام، وتلك الشجاعة الأندلسية إلى أبيات شعرية حيث يفخر بنفسه وبأفعاله، ألم يقل الداخل مفتخرًا بما شاده من مُلْكٍ في الأندلس(١٥٥):

أبني أمية قد جبرنا صدعكم   بالغرب رغما والسعود قبائل
ما دام من نسلي إمام قائم   فالملك فيكم ثابت متأصل

وابنه هشام قد قال مفتخرًا بقوته وشجاعته وطموحه أيضًا(١٥٦):

لك الورى والعباد قاطبة   لا ملك بعض الضياع من همي

تفيض كفي في السلم بحر ندى
وفي سجال الحروب بحرَ دم
تزل عن راحتي البدور وما تمسك غير الحسام والقلمَ
والحكم الربضيّ يقول مفتخرا(١٥٧) :

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة
أبادرها مستنضي السيف دارعا
وشافه على الأرض الفضاء جماجما
كأقحاف شريان الهبيد لوامعا
تنبئك أني لم أكن في قراعهم
بوان، وقدمًا كنت بالسيف راقعا

إلى قوله:

فهاك بلادي إنني قد تركتها مهادًا، ولم أترك عليها منازعا
وقال الصميل بن حاتم(١٥٨) :

ألا إن مالي عند وديعة ولابد يومًا أن ترد الودائع
سلوا يمنًا عن فعل رمحي ومنصلي
فإن أثنت عليَّ الوقائع
وقال الأمير عبد الرحمن الأوسط(١٥٩) :

أنا ابن الهشامين من غالب أشب حروبًا وأطفى حروبا
وقال الأمير محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر(١٦٠) :

ألسنا بني مروان كيف تبدلّت بنا
الحال أو دارت علينا الدوائر
إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنائر

وقال الأمير الطليق مفتخرًا(١٦١) :

من فتى مثلي لبأسٍ وندى ومقال وفعال وتُقى
شرقي نفسي، وحَلْيي أدبي وحُسامي مقولي عند اللقا

ومنها :

جدي الناصرّ للدين الذي فرّقت كفاه عنه الفرقا
أشرف الأشراف نفسًا وأبًا حين يعلوه وأعلى مرتقى

وقال المنصور بن أبي عامر(١٦٢) :

رميت بنفسي هول كل عظيمة
وخاطرت، والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي إلا جنان مشيع وأسمر خطي وأبيض باتر

ثم قال :

وإني لزجاء الجيوش إلى الوغى أسود تلاقيها أسود خوادر

وهو الذي كتب على قبره(١٦٣) :

أثاره تنبئك عن أخباره كأنك بالعيان تراه
تالله لا يجود الزمان بمثله ابدًا ولا يحمي الثغور سواه

وقال عبد الرحمن بن هشام مفتخرًا بنفسه في قصيدة خاطب بها زوج سليمان المستعين عندما خطب ابنتها فلوته وسوّفته(١٦٤) :

وإني لطعان إذا الخيل أقبلت
جرائدها، حتى تُرى جونها شقرا
ومكرم ضيفي حين ينزل ساحتي
وجاعل وفرى عند سائله وفرا
وإني لأولى الناس من قومها بها
وأنبههم ذكرًا، وأرفعهم قدرًا

وقال أبو القاسم محمد بن إسماعيل ابن عباد(١٦٥):

ولابد يومًا أن أسود على الورى
ولو رُد عمرو للزمان وعامرُ
في المجد إلّا في ضلوعي كامن
ولا الجود إلّا من يميني ثائر
فجيش العلا ما بين جنبي جائلٌ
وبحر الندى ما بين كفى زاخر

وقال ابنه المعتضد بن عباد(١٦٦):

حميت ذمار المجد بالبيض والسُّمر
وقصرّت أعمار العداة على قسر
ووسّعت سُبْل الجود طبعًا وصنعة
لأشياء في العلياء ضاق بها صدري
فلا مجد للإنسان ما كان ضده
يشاركه في الدهر بالنهي والأمر

وقال المعتمد بن عباد[١٦٧] :

إن تستلبْ عني الدنا مُلكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطبا ع ، أيُسْلب الشرف الرفيع؟
قد رمت يوم نزالهم ألا تحصنَني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ ص على الحشاشئ دفوع
وبذلت نفسي كي تسـ يل إذا يسيل بها النجيع

ثم قال :

ما سرت قط إلى الكما ة وكان من أملي الرجوع
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

وقال مخاطبًا ابنه الأصغر وهو يخوض معركة الزلاقة[١٦٨] :

أبا هاشم! هشمتني الشفار فللّه صبري لذاك الأوار
ذكرت شخيصك ما بينها فلم يَدعُني حبه للفرار

وقال عبد الملك بن هذيل الملقب بحسام الدولة[١٦٩] :

أنا ملك تجمّعت فيّ خمس كلها للأنام مُحْيِ مُميتُ
هي : ذهن وحكمة ومضاء وكلام في وقته ، وسكوت

وقال أبو محمد بن هود الجذامي والي أشبونة[١٧٠] :

وما أنا إلّا الشمس غير غياهب
دجت ، فأبت لي أن أنير وأسطعا
وإن طلعت تلك البدور أهلة فلم يبق إلّا أن أغيب وأطلعا

وهناك من المفكرين الأندلسيين من يفخر بعلمه، مثلما نجد ذلك عند (ابن حزم)، حيث قال(١٧١):

أنا الشمس في جو العلوم منيرةً ولكنَّ عيبي أن مطلعي الغرب

إلى قوله:

وإن رجالًا ضيعوني لضيع وإن زمانًا لم أنل خصبه سَغْبُ

وكذلك عند الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي، حيث نجده يقول(١٧٢):

وقد حويت قصاب السبق في بدع
شتى، وأحرزتها في كل ميدان

ثم قال:

لكن بصائرهم عميٌ ولا بصرٌ والشمس تشرق إلّا عند عميان

ومنها قوله:

وإنما العذر لي أن جئت في زمن
لا الجيل جيلي ولا الأزمان أزماني

وهناك من يفخر ببلاده، إذ نجد (الشقندي) قد قال في مفتتح رسالة له في الدفاع عن الأندلس رادًا فيها على من فضل بر العدوة على الأندلس: «الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بجزيرة الأندلس أن يتكلم ملء فيه، ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلم، ولا لوجه النعيم: يا قبيح:

وقد وجدت مكان القول ذا سعة
فإن وجدت لسانًا قائلًا فقل...»(١٧٣)

وهناك من يفخر بأميره كأنموذج للأمراء في الأندلس، فقال مادحًا[١٧٤]:

اثمرت رمحك من رؤوس ملوكهم
لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم
لما علمت الحسن يلبس أحمرا

ومنها قوله عن بلاده وعن الممدوح[١٧٥]:

روض كأنَّ النهر فيه معصم   صاف أطلّ على رداء أخضرا
وتهزه ريح الصبًا فتخاله   سيف ابن عياد يبدد عسكرا

وبخلوصنا من موضوع الفخر إلى المدح، فإننا نجد أن الباب واسع فيه وذلك لكثرة القصائد المدحية في الديوان الأندلسي والتي حوت ألفاظًا فيها قوة تصل في قوتها إلى قوة ألفاظ الفخر، ولكثرتها، ولشعورنا أن الكتب التي تناولت ما يسمى «بالأدب التقليدي أو المحافظ» قد حوت الشئ الكثير فإننا نكتفي بها، وكل ما ينبغي أن نقوله هنا: أن تلك القصائد قد مثلت الشعر المدحي خير تمثيل من خلال محاولة هذا الشاعر أو ذاك فى تقمص شخصية الممدوح والإتيان بكل ما يدور ودار حولها فينقل لنا صورة حقيقية في هذه القصيدة أو تلك من خلال تناوله هذه الصفة أو تلك، ولنا في القصائد التي قيلت في آل عباد وآل أفطس والمنصور بن أبي عامر خير مثال على ذلك.

إننا إن نظرنا إلى النهج الذي انتهجه الشاعر المداح في المشرق وفي المغرب نجده يسير في نفس المسار، وذلك يدل على وحدة الهدف والمقصد بغض النظر عن البيئة أو المكان، فالممدوح شخص

لا يرى الشاعر المدّاح أثرًا للمكان في غاية هدف إليها من هذا الممدوح أو ذاك، تحكمه في الطبائع الإنسانية الواحدة، قال الشاعر الأندلسي مادحًا المظفر بن الأفطس(١٧٦):

زعم الناس أن حاتم طيٍّ أول في الندى وأنت الثاني
كذب الناس، ليس ذاك صحيحًا
هو مرعى، وليس كالسعدان(١٧٧)

فالممدوح أندلسي، والشاعر أندلسي، والمثل والمثال مشرقيان وكأنه اعتمد عليهما باعتبارهما دليلين استدل بهما لشهرتهما، ومعرفة الناس بهما.

إن موضوعى الفخر والمدح من الموضوعات التي سيطرت على القصيدة الأندلسية، على أن لكل موضوع حدودًا معينة، فالفخر يظهر بصفة خاصة عند من تسنم منصبًا أو علمًا رفيعًا مثله في ذلك مثل الفارس في المشرق أو القائد أو الحاكم، أما المدح فيأتي من شخص لشخص آخر، وقد يجتمعان في غرض واحد كما وجدنا في البيتين المكتوبين على قبر المنصور ابن أبي عامر، فمن يقرأهما يجدهما مدحًا، لكن قائلهما فخر بنفسه، واعتدّ بذاته، وهي تلك الذات التي غزت في سبيل الله أكثر من سبعين غزوة ولم تكسر إذ كان التوفيق حليفًا لها فحق لها الفخر، أما أن تمدح نفسها فذلك عند العرب غاية الكذب.

إن الاعتداد بالذات من صفات العربي الذي يقوم بدور فاعل في مجتمعه، عرفنا ذلك لدى القبائل العربية قبل عصر الرسول ﷺ، ثم عرفنا ذلك في المجتمعات الإسلامية بعد ذلك، فكان الجو البدوي استمرارية بدءًا من مشيخة القبيلة وانتهاء بالحاكم.

إن الفخر والمدح يمثلان جزءًا من قصيدة كاملة في الديوان الأندلسي غالبًا ما يبدأهما الشاعر بمقدمة مناسبة، وهي مقدمة قد ذكرناها من قبل كالوقوف على الأطلال أو ذكر صفة الممدوح أو الرحلة ... إلخ ذلك، ومن هذا المنطلق، فإننا نقول ونحن نتحدث عن هذه الجزئية التي تتعلق بالأطلال وبالاعتداد بالذات والرحلة وما يصاحبها:

إن الأجواء البدوية قد أثرت في القصيدة الأندلسية من جانبين، هما:

* جانب الموضوعات

* وجانب الألفاظ

وهما جانبان يجتمع بعضهما مع بعض عندما تجعلنا القصيدة الأندلسية نعيش في الأجواء التي تذكرنا بالغزلان وبالجمال وبالنوق، وما نبقى من آثار، وما يعانيه الإنسان من ترحال وذلك كله ينبئ عن قوة الموضوعات المستقاة من روح الصحراء وعنائها، والموضوع القوي يستدعى ألفاظًا تتسم بالقوة والجزالة.

إن القصيدة الأندلسية قد زادت على القصيدة المشرقية التي سارت في نفس المسار (أقصد المسار البدوي) باحتوائها، بل اهتمامها بذكر الأسماء المشرقية أكثر من المشرقية ذاتها، إذ نجد في هذه القصيدة حديثًا عن نجد والحجاز[١٧٨]، والعراق وبلاد الشام وذلك كنوع من الحنين[١٧٩]، على أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل تعدى ذلك إلى تأثر شاعرها بالمشهورين من المشارقة، وقد أقرّ (ابن خفاجة) بهذا عندما قال على طريقة الشريف[١٨٠]:

ألا ليت أنفاس الرياح النواسم يُحَيّينَ عَنّي الواضحات المباسم

ويرمين أكناف العقيق بنظرة تردّدُ في تلك الرُّبي والمعالم
يلثمن ما بين الكثيب إلى الحمى
مواطئ أخفاف المَطيّ الرّواسم
فما انسه لا أنس يومًا بذي النّقا
أطلْنا به، للوجد، عَضّ الأباهم

وعلى طريقة مهيار في قوله[١٨١]:

ويا بانة الوادي بمنعرج اللّوى
اتصغي على شحط النوى فأقول
ويا نافحات الريح من بطن لعلع
ألا جاء من ذاك النسيم بخيل
ويا خيم نجد دون نجد تهامة ونجد ووخدٌ للسّرى وذَميل

إذ نجده مُعَلّقًا على ذكره لأسماء هذه الأماكن: «،أما أسماء تلك، وما انقسمت إليه من صفة نجد أو تهامة، فإنما جئ بها على أنها خيالات تنصب ومثالات تضرب، تدل على ما يجري مجراها من غير أن يُصرح بذكراها»[١٨٢].

وإذا كان ذكر المكان والحنين قد أثر في القصيدة الأندلسية، فإنها قد تأثرت أيضًا (بطريقة العرب) خاصة الرثاء، فكثيرًا ما نجد الشاعر الأندلسي يضمن قصيدته حديثًا عمن «أباده الحدثان من أكثر ملوك الزمان»[١٨٣]، كما نجد عند (ابن عبدون) في قصيدته التي منها قوله[١٨٤]:

هوت بدارا وفلت غرب قاتله وكان عضًا على الأملاك ذا أُثر

واسترجعت من بني ساسان ما وهبت
ولم تَدَعْ لبني يونانَ من أثر
وألحقت أُختها طمسا، وعاد على
عاد وجرهُم منها ناقص المرر

وعند (التطيلي) في قصيدة له، منها قوله(١٨٥):

خذا، حدِّثاني عن فلٍ وفلانِ لعلي أرى باق على الحدثان
وعن دول جُسن الديارَ، وأهلها
فنين، وصرفُ الدهر ليس بفان
وعن هرمي مصر الغداة امُتِّعا بشرخ الشباب أم هما هَرمانِ
وعن نخلتي حُلوانَ كيف تناءتا
ولم تطويا كشحا على شنان

وعند (ابن حداد) في قصيدة، منها قوله(١٨٦):

وقد هوت بهوى نفسي مها سبأ
فهل درت مُضَرٌ من تيمت سبأُ
كأنَّ قلبي سليمان، وهدهده
لحظي، وبلقيسُ لبنى، والهوى النَّبأُ

إن من يقرأ هذا اللون من الشعر الرثائي يشعر أنه أمام رجل حكيم(١٨٧) مفكر في هذه الحياة التي صقلته مثله في ذلك مثل (البدوي) في صحرائه الذي يفكر فيما حوله، متناسيًا ذاته فيأتي لنا بالعبر والأمثال وبالحكم في حدود ثقافته المحدّدة لتنقل لنا صورة صادقة عن حياة عاشها من قبله، بينما الأندلسي يوظف ثقافته لتعبر

عن وفاء يقوم مقام النظرة المحددة لدى الشاعر البدوي في صحرائه، كما تعبر عن تفاعلٍ مع الواقع العام من خلال حديثه عن الملوك والدول البائدة بدلًا من تفاعل المشرقي في باديته مع المكان (الخاص) أو (الطلل) أو الأطلال التي لا تسمع حسًا ولا تثير شجنًا إلّا شجن المحب المتعلق بذاك المكان المحدّد، بينما الدول البائدة التي قامت مقام الأطلال تثير أشجان وأحزان الكل، الجاهل والمتعلم، وبهذه الحال نصل إلى شعر رثاء الحضارات التي عرفت لدى الشعراء المشارقة خاصة (البحتري).

إن الاتكاء على التراث سواء أكان حسّيًا أم معنويًا لا يعد وقفًا على شعراء الأندلس وحدهم، بل نجد ذلك عند شعراء المشرق أيضًا، قال المعري(١٨٨):

أصاب الأخفشين بصير خطب
أعـاد الأعـشـيـن بـلا حـوار

وغَيلَ المازنيُّ من الليالي بزند من خطوب الدهر واري
وللجرميّ ما اجترمت يداه وحسبُكَ من فلاح أو بوار

وقال في أخرى(١٨٩):

أصحاب أيكة، أهلكوا بظهيرة
حميت، وعادٌ بالرياح الصرصر

كسرى أصاب الكسر جابر ملكه
والقصر كرَّ على تطاول قيصر

إن الوفاء طبع من طباع العربي عبر أزمانه، والبدوي أكثر التزامًا به، ولأن التاريخ جزء من كيان هذا العربي، فإن الوفاء له يعد من أرفع الأخلاق، لذا فإن الوفاء عند المشرقي الذي عاش في العصور

العباسية يعد ثقافة، بينما عند الأندلسي يعد وفاء، وقد ظهر هذا في اخلاقياته، فتأثرت هذه القصيدة بهذا الوفاء، ولذلك نلحظ فيها هذه الطريقة التي أسماها الدكتور إحسان عباس (بالحنين)، والشنتريني بـ (طريقة العرب)، حيث قال: «،قد سلك إلى هذه الطريقة جماعة من المتقدمين والمتأخرين ..»[١٩٠].

إن هذه الطريقة لم تظهر في الشعر وحده (الحنين وطريقة العرب)، بل هي في النثر أوضح، إذ ظهرت مع الطابع البدوي في رسائل (ابن زيدون) خاصة الهزلية، ورسائل (ابن شهيد) خاصة التوابع والزوابع، ورسائل (ابن برد) و (ابن الجد)، كما ظهرت في المقامات الأندلسية خاصة مقامات (السرقسطي).

إن الوقوف على الأطلال وما يصاحبها، والأجواء البدوية وما فيها، والثقافة وما تعبر عنه من الموضوعات التي تواجه أي دارس لقصيدة مشرقية، قد رحلت إلى الأندلس مع من رحل ليظل (الوفاء) الذي يعانيه المسافر صورة له في قصيدة، أو ما يخطه يراعه، وليدل على أن «طبيعة النفس العربية والثقافية العربية لم تتغير كثيرًا، مما يجعل كلًا من الشاعر المشرقي والشاعر الأندلسي يصدر متأثرًا بنفس المصدر، وبالتالي فإنه يصدر عن دوافع ذاتية خاصة انتهجها وقع المصدر نفسه، الأمر الذي ينفي أن يكون الثاني مقلدًا للأول تقليدًا ناسخًا ...»[١٩١] ذلك لأن في الشعر الأندلسي خيالًا رائعًا، وصورة براقة، ومعاني جميلة، وألفاظًا رشيقة[١٩٢]، الأمر الذي جعل بعض المستشرقين يسمى الأدب الأندلسي بـ «كم السترة العربية»[١٩٣] وهل تصلح السترة بلا كم؟ إنها بدونه مجرد خرقة مجمعة بخيط بلا جمال أو ذوق أو فن، أو حتى طريقة للحفظ!!

إن الأندلس قد ظلت دائمة التواصل مع تراثها[١٩٤] دل على ذلك ما ذكرناه من قبل، وهذا في الواقع ليس بمستغرب في أرض كان أشراف العرب قد افتتحوها، كما انه قد نزل بها سادات من أجناد الشام والعراق[١٩٥]، «فبقي النسل فيها بكل أقليم على عرق كريم»[١٩٦]، ولهذا، فإن عربية الأندلس[١٩٧] ليست محل شك من كل ذي لب «فقلما نجد شاعرًا مفلقًا أو كاتبًا بليغًا أو عالمًا ضليعًا إلّا ونسبه في قبيلة من قبائل العرب..»[١٩٨].

إن (الأدب الصحراوي) قد أظهر لنا ان الفكر الأندلسي خاصة في شعره، وفي نثره الذي عرضنا له مجرد إشارة قد كان مرتبطًا بالتاريخ بل مشدودًا إليه[١٩٩]، كما كان متعلقًا بالتراث، بل متمسكا به طيلة حياته، فدل ذلك كله على التواصل بين الأندلس والمشرق، وهو تواصل حتمي أبقى على الشخصية الأندلسية مستقلة برأيها كشأن المشرقية الأمر الذي جعل بعضهما يتواصل مع الآخر، لكن تواصلنا نحن المشارقة لم يظهر إلّا بعد ضياع الفردوس المفقود، فأصبحنا نردد ما قاله أولئك لا لشفقة منا على ما ضاع، بل لأنه جزء من الذات، كما أنه قد حفظ لنا تراثًا يمثل أنموذجًا لتراث أجدادنا في المشرق العربي، وهذا هو واقع الأندلس في انتمائها وحسن ذلك الانتماء الذي لولاه لضاع علينا كثير من تراثنا في مشرقنا.

وبعد:

فقد يقول قائل: لقد أرهقتني بما حوته أوراقك من تناقض وارتباك واضطراب وغموض[٢٠٠] أجدها تتكرر في صفحات ما تدعيه بحثًا، وأنا أقول: إنني أحاول أن أظهر حقيقة حوتها بطون الكتب القديمة والحديثة، فكانت هذه الحقيقة كالنظرية التي يحاول الدارس اثباتها، ومن هنا، فإنك ستجد أن الذاكرة وشيئًا من

الارتجال[٢٠١] كانا يحكمان في بعض الأحيان، ولكن في أحيان كثيرة نجد أن القاعدة المعروفة في البحث العلمي كانت مثبوتة بين أسطر هذه الأوراق، فإذا هي تمثل ما قلته فخطه قلمي وما تقوله أنت من خلال رؤياك، ولكل رأي، والله الموفق في كل حال.

* * *

هوامش البحث

(١) انظر ما كتب عنه في (مطمح الأنفس ومسرح التأنس)، ص ٣٣٢ وما بعدها، وانظر البيتين ص ٣٣٦، وانظرهما في البحث المعنون بـ (ابن فرج الجياتي وكتاب الحدائق). مجلة التراث العربي، عدد ٤٧ شوال ١٤١٢هـ، ص٧٨ وما بعدها، وقد أخذ البيتان منها.

(٢) انظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، ص ٣٣٤.

(٣) انظر: الإحاطة ...، ج ١، ص١٠٢، وانظر: النفح، ج ١، ص ٢٣٤، وانظر الأندلس بين الاختبار والاعتبار... (بحث مخطوط)، ص ٥، وانظر: دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، ص ٥٣١.

(٤) من: الشعر العربي في أسبانيا وصقلية، ص ٩٤.

(٥) انظر: الأدب العربي في الأندلس، ص١٦٢، وانظر: مواكب الأدب العربي عبر العصور، ص ١٤٤.

(٦) انظر: الشعر العربي في أسبانيا وصقلية، ص٩٣، وانظر قبله: النفح، ج ١، ص ٢٤٣.

(٧) انظر: ما كتب حول هذا الموضوع في: الإحاطة ...، ج ١، ص١٠٢ــ ١٠٣، وانظر أيضًا: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٢٧١.

(٨) من كتاب: صفة جزيرة الأندلس ...، ص ٣.

(٩) من كتاب جغرافية الأندلس ...، ص ١٣٠.

(١٠) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(١١) من الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٤١، وانظر ما كتب عن «العربية» في الكتاب نفسه وانتشارهافي الأندلس ص٢٧- ٣٥، وانظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص ٤١٤.

(١٢) من: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ٥٦.

(١٣) انظر: العرب في الأندلس ص٢٨ وقد ذكرنا هذه الجزئية من قبل خاصة أسماء المدن ومصادرها.

(١٤) انظر: الأدب العربي في الأندلس، ص١٦٤ والدكتور عتيق قد تحدّث عن العامل النفسي.

(١٥) انظر: الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه، ص ٢٧.

(١٦) من: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٤٨- ١٤٩، وانظر: النفح، ج ٢،

ص ٢٦٠- ٢٦١، وانظر: الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله، ص ٧٦- ٧٧، وانظر: ما قاله أحمد أمين حول هذه المسألة في (ظهر الإسلام)، ج ٣، ص ١٠٤- ١٠٥.

(١٧) انظر: حول تأثير التالي في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، ص١٢٢من مجلة كلية الآداب جامعة محمد بن عبد الله (فاس)، ع ١، س ١، ١٣٩٨هـ.

(١٨) من: العرب في الأندلس، ص٢٨، وانظر: الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، ص١٥ وما بعدها.

(١٩) انظر: الانتماء في الأدب الأندلسي ...، ص ١، وما بعدها، ص ١١.

(٢٠) انظر: الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، ص ١٦.

(٢١) انظر: العرب في الأندلس، ص ٢٧.

(٢٢) من السابق، ص ٢٩.

(٢٣) انظر: الحلة السيراء، ج ١، ص ٣٧، وقد نسبها للداخل ثم نسبها لأمير آخر.

(٢٤) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٢٥) انظر: العرب في الأندلس، ص ٣٠.

(٢٦) انظر: في أصول التوشيح، ص ٩.

(٢٧) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٢٨) عنوان بحث لنا مازال مخطوطًا.

(٢٩) انظر: تأريخ الفكر الأندلسي، ص ٣٧.

(٣٠) انظر: السابق، ص ٤٠.

(٣١) (٣٢) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٣٣) انظر: السابق، ص ٤١، وانظر قبله: الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه، ص ٢٤.

(٣٤) انظر: مقدمة (ابن بسام) في ذخيرته، ق ١، ص ١٣- ١٤.

(٣٥) انظر: تأريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٢.

(٣٦) من: نقاط التطور في الأدب العربي، ص ٥٦٣.

(٣٧) انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٢٤.

(٣٨) من: المفصل في تأريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ١٠٠.

(٣٩) من: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص ٢٣.

(٤٠) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤١) من : اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص ١٠١ .

(٤٢) انظر : العقد الفريد ، ج٢ ، ص٦٨ ، وانظره أيضًا في : اتجاهات الشعر الأندلسي ... ص١٠١ ، وص ١١٢ .

(٤٣) انظر : اتجاهات الشعر الأندلسي ... ، ص١٠٠ ، وانظر : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص٨١ .

(٤٤) انظر : الأدب العربي في الأندلسي ، ص١٦٤ - ١٦٥ .

(٤٥) من السابق ، ص١٦٥ .

(٤٦) من : كتاب الصناعتين (الكتاب والشعر) ، ص٢١٧ .

(٤٧) انظر : خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث ، ص١١٩ .

(٤٨) انظر : ما قاله فون شاك حول هذا الموضوع في كتابه الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، وأنه يحتوي على صور غريبة عليه هو وأمثاله ... ، ص٩٥ .

(٤٩) انظر : ما كتب عنه وعن أبياته وما فيها من بداوة في كتاب : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ، ص٤٤ - ٤٥ .

(٥٠) الشاعر هو : عاصم بن زيد العبادي . وانظر ما كتب عنه ومصادر ترجمته في كتاب الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص٩٨ ، وما بعدها ، وانظر الأبيات ص٨٢ ، وانظر الإحاطة ، ج٤ ، ص٢٣٤ .

(٥١) ابن حزم لا يعد من ظهر على تراب الأندلس طارئًا ؛ فهو أندلسي ينسب إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكانها إلى أن مات ... انظر النفخ ، ج٣ ، ص١٦٤ .

(٥٢) الشاعر ، هو أحمد بن علي بن الأنصاري الأندلسي (ت: ٧٧٠هـ) ، وانظر التعريف به في ديوانه بتحقيق د . الداية ، وانظر القصيدة ، ص ٦٢ - ٦٤ .

(٥٣) انظر (ابن هانئ المغربي الأندلسي ٣٢٠ - ٣٦٢هـ) ، ص٢١٥ .

(٥٤) (أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي المشهور بابن زيدون ٣٩٤ - ٤٦٣هـ) ، انظر الأبيات في ديوانه بشرح د . يوسف فرحات ، ص٧٨ ، وهي قصيدة طويلة أخذت الصفحات من ٧٦ - ٨٢ .

(٥٥) انظر : المطمح ... ، ص١٦٦ .

(٥٦) انظر : ديوان المعتمد بن عباد ، ص١٧٥ .

(٥٧) انظر : قضية السجن والحرّية في الشعر الأندلسي ، ص١١٦ .

(٥٨) انظر : السابق ، ص١١٦ - ١٢٢ .

(٥٩) من : الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، ص٩٥ .

(٦٠) انظر: نهاية الأندلس، ص٢٨٠- ٢٨٢ وقد علّق عليها بقوله: وهي طويلة في أكثر من مائة بيت.

(٦١) انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٧٨- ٢٨٠.

(٦٢) من: الشعر الأندلسي - بحث في تطوره...، ص٢٥.

(٦٣) انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٣٠٠.

(٦٤) من: النفح، ج١، ص١٢٦.

(٦٥) من: السابق، ص٢٢٦.

(٦٦) انظر: السابق، ص٢٢٦- ٢٢٧.

(٦٧) انظر: السابق، ص٢٢٧.

(٦٨) كان الدكتور إحسان عباس في كتابه (تأريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين) قد وضع عنوانًا مؤدّاه التطور في الشكل أو الصراع بين طريقة العرب وطريقة المحدثين، انظر: ص١٠٨.

(٦٩) انظر: التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب في آثار ابن سعيد المغربي، ص٢٢٥.

(٧٠) انظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٩١- ١٠٧، وانظر: تأريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، ص٤٣ وما بعدها، ومن شعر حساتة الذي نلمس فيه البداوة، فهي ابنة عاصم بن زيد قولها:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي ... على شحط تصلى بنار الهواجر

ليجبر صدعي، إنه خير جابر ... ويمنعني من ذي الظلامة جابر

فإني وأيتامي بقبضة كفه ... كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص٤٧.

(٧١) قال عنه الدكتور فروخ: «أبو عامر ابن شهيد شاعر، ناثر، ناقد، مكثر مطيل مجيد ومقتدر في كل ذلك، وهو قريب الشبه بشعراء المشرق وعلى شعره لمحة بدوية...». انظر: تأريخ الأدب العربي، ج٤، ص٤٥٥.

(٧٢) انظر: التفاعل الثقافي...، ص٢٢٥.

(٧٣) من: السابق الصفحة نفسها، وانظر: قبله: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ص١٠٨- ١١١ وانظر أيضًا ص١١٦- ١١٧.

(٧٤) من: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص٤٧- ٤٨.

(٧٥) انظر: السابق، ص٤٨.

(٧٦) انظر: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد، ص٢٢٦.

(٧٧) انظر : السابق، ص٢٣٠.

(٧٨) من : السابق الصفحة نفسها نقلًا عن المرقصات...

(٧٩) من : الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص٩٦.

(٨٠) هو، أبو العباس أحمد بن محمد، من أهل المرية، ت٥٣٦هـ، انظر ما كتب عنه في تحفة القادم، ص٢٦، وقد أشار الدكتور إحسان عباس في هامش الصفحة نفسها إلى مصادر ترجمته، وانظر إلى ما كتب عن (المرية) في صفة جزيرة الأندلس المنتخبة من كتاب الروض العطار، ص١٨٣ وما بعدها.

(٨١) انظرها في النفح، ج٤، ص٣٣١.

(٨٢) انظر : ديوان ابن عبد ربه بتحقيق د. الداية، ص١٥٩.

(٨٣) انظر : في تأريخ الأدب العربي القديم، ص١٧٠.

(٨٤) انظر : الديوان، ص١٤١.

(٨٥) من : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٠، وانظر نماذج من أشعار (ابن عبدون وابن وهبون) ص١١٠- ١١٢.

(٨٦) انظر : الشعر الأندلسي - بحث في تطوره...، ص٢٥.

(٨٧) انظر : الذخيرة...، ق١، م١، ص١٤، والشاعر هو (ابن وهبون).

(٨٨) انظر : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والرابطين)، ص١٢٧، وانظر ما كتبه د. جبرائيل جبور عن شكوى الفارو من إتقان أبناء جلدته للعربية لدرجة منافستهم للعرب، وذلك في كتابه (أوراق من رياض الأدب والتأريخ)، ص٢٢٨.

(٨٩) انظر : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف..)، ص١٢٨.

(٩٠) انظر : السابق الصفحة نفسها، وانظر : اشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص٨٤- ٨٦.

(٩١) من : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص٢٨٠.

(٩٢) انظر : السابق الصفحة نفسها.

(٩٣) انظر : السابق الصفحة نفسها.

(٩٤) من : السابق، ص٢٨١.

(٩٥) انظر : السابق، ص٢٨٤، وما بعدها، وانظر ما كتبه (راشيل أربيه) في بحث له بعنوان (ابن زيدون وابن الأفطس) وذلك في ملف متفرقات (دراسات استشراقية وعربية).

(٩٦) انظر : بتوسع هذه الجزئية في السابق، ص٢٨١- ٢٨٣.

(٩٧) من : كتاب (أوراق من رياض الأدب والتأريخ)، ص١٢٧.

(٩٨) انظر: كتاب (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس)، ص١٦١- ٢٠٠، وص٢٣٧- ٢٤٠.

(٩٩) انظر: كتاب (أوراق من رياض الأدب والتأريخ)، ص١٢٧.

(١٠٠) انظر: السابق الصفحة نفسها.

(١٠١) انظر: السابق الصفحة نفسها.

(١٠٢) كان أحمد أمين قد قال عن شعراء الأندلس أنهم تأثروا بالمتنبي لا من حيث قوة المعاني وقوة الشعر بل من حيث الأسلوب وفخامة التعبير وعمق الخيال. وهذا هو قول معظم المستشرقين خاصة أميليو غارسياغوس، وفون شاك، والذين قالوا: يتأثر الشاعر الأندلسي بالبراعة لا بالتفكير، وأنه عاش عمره مكبلًا بقيود القوالب الشكلية الجامدة. انظر: ظهر الإسلام، ج٣، ص١٠٥، وانظر: الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه، ص٢٢٥، وانظر الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص١٠٢- ١٠٤.

(١٠٣) انظر: الأدب العربي في الأندلس، ص١٦٤.

(١٠٤) من: السابق، ص١٦٤- ١٦٥.

(١٠٥) انظر: نظرية الأدب، ص٩٧.

(١٠٦) انظر: المرايا المتجاورة، ص٧٦، وما تحدث به المؤلف عن (العملية الأدبية) من منظور المجتمع.

(١٠٧) انظر: الوطن العربي - أرضه - سكانه - موارده»، ص١٥ وما بعدها، وص٣٢- ٣٣ (وقد عرفت الصحراء في المعاجم بأنها: الأرض الفضاء الواسعة التي لا ماء فيها ولا حياة، انظر مثلًا (المعجم الوسيط)، ج١، ص٥١٠، كما عرفت أنها «الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه»، انظر: المنجد، ص٤١٧ مادة (صحر).

وتلك تعاريف لغوية، أما ما كتب حولها في المتن فإن ذلك له علاقة بواقع الصحراء الجغرافية التي تجمع بين السهول والجبال والرمال، فالجبال تمثل القوة، والسهول تمثل اللين.

(١٠٨) انظر: النفح...، ج٣، ص١٥٦.

(١٠٩) انظر: السابق، ج١، ص١٤٥، وانظر: بحثًا لنا بعنوان «شعر الجهاد في بلاد الأندلس»، ص٢ (بحث مخطوط).

(١١٠) انظر: النفح..، ج٣، ص٥٥٨.

(١١١) انظر: شعر التروبادور، ص٢٠.

(١١٢) انظر: في الأدب الأندلسي، ص٤٥.

(١١٣) انظر: السابق الصفحة نفسها.

(١١٤) لقد كتب عن الشخصية الأندلسية الشيء الكثير، انظر مثلاً : نفح الطيب...، ج١، ص٢٢٠ وما بعدها، وج٣، ص١٥٠ وما بعدها، وقبله، انظر : الإحاطة...، ج١، ص١٣٤، وما بعدها، وانظر : الحلل السندسية، ج١، ص٧٦ وما بعدها، وانظر : في الأدب الأندلسي، ص٤٣- ٤٦، وانظر : الأدب الأندلسي، ص٤٣- ٤٦، وانظر : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٤٩، وانظر : الأصول الفنية للشعر الأندلسي - عصر الإمارة، ص١٠٣- ١١٦، وانظر : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص٢٣- ٢٤، وانظر : عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص١٣ وما بعدها، وانظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٣١٥- ٣١٩.

(١١٥) قال الأديب أبو الحسن على بن محمد بن شفيع : «لو طبعت على الزهد لحملني حسن بلادي على المجون والعشق...، من صفة جزيرة الأندلس المنتخبة من كتاب الروض العطار في خبر الأقطار، ص٤٥، وذلك في حديثه عن (بسطة)، وقال (ابن عبد ربه)، عن أدب بلاده :

أدب كمثل الماء لو أفرغته ... يومًا لسال كما يسيل الماء

انظر : ديوانه بتحقيق الدكتور الداية، ص٢١، وانظر : ما كتب عن أثر البيئة على الشخصية الأندلسية في كتاب: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٣.

(١١٦) انظر : الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه، ص٣٥، وانظر ما كتب عن طبيعة المجتمع الأندلسي في كتاب (لنوريات في الشعر الأندلسي)، ص٥٥- ٥٧.

(١١٧) انظر : الشعر الأندلسي - بحث...، ص٣٥.

(١١٨) من : كتاب السوسيولوجيا والأدب، ص٩٧، وانظر : ما كتب عن (التخييل) وابن سيناء في كتاب (نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) ص١٦٦- ١٢٢.

(١١٩) من : النفح...، ج٣، ص١٥٠- ١٥١ز

(١٢٠) انظر : السابق، ص٢١٠، والشاعر هو الأمير ابن مردنيش.

(١٢١) انظر : السابق، ج١، ص٤٠٠ والشاعر هو المنصور بن أبي عامر.

(١٢٢) انظر : الذخيرة...، ق٢، م١و ص٧٣، وانظر : ديوان المعتمد بن عياد، ص١٠٦، وفيه : يدعني بدلًا من (يثنيني).

(١٢٣) انظر الحلة...، ج١، ص٢٥٠، والشاعر هو أبو الحزم جهور بن عبيد الله.

(١٢٤) انظر : النفح...، ج١، ص٣٤٣.

(١٢٥) انظر : السابق، ص٣٤٣- ٣٤٤.

(١٢٦) انظر: الحلة...، ج١، ص٦٦.

(١٢٧) انظر: نفح الطيب، ج٣، ص١٩٩، وانظر: شعر (ابن اللبانة الداني)، ص٩٧- ٩٨.

(١٢٨) انظر: السابق، ص١٩٦.

(١٢٩) انظر: تحفة القادم، ص١٦، والشاعر ابن البراء التجيبي.

(١٣٠) الشاعر هو الأمير الطليق. انظر: ما كتب عنه في (الحلة السيراء...) ج١، ص٢٢٠ وما بعدها، وانظر: ما كتب عنه بتوسع في كتاب: مع شعراء الأندلس والمتنبي - سير ودراسات، ص٨٣- ١١٤، وانظر: الأبيات في (الحلة)، ج١، ص١٨٢.

(١٣١) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(١٣٢) الشاعر هو (ابن الزقاق) ت ٥٢٨هـ. انظر: ما كتب عنه بتوسع في كتاب (مع شعراء الأندلسي والمتنبي -...)، ص١٦٣- ١٨٧، وانظر الأبيات، ص١٨٢.

(١٣٣) انظر: الذخيرة...، ق٢، م٢، ص٧٨٨، وقائلب الأبيات (أبو زيد عبد الرحمن بن مقاتا الأشبوني). انظر: ما كتب عنه في السابق، ص٧٨٦، وقد أشار المحقق إلى مصادر ترجمته في هامش الصفحة.

(١٣٤) انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٥.

(١٣٥) انظر: الذخيرة...، ق٢، م٢، ص٧٨٩- ٧٩٠.

(١٣٦) انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص١٢٥.

(١٣٧) انظر: ديوان (ابن شهيد)، ص١٠٩، وانظر: ما كتب عن هذه الفتنة في كتاب (تأريخ الأدب الأندلسي- عصر سيادة قرطبة)، ص١٣٣ وما بعدها.

(١٣٨) انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٣٠٧- ٣٠٨، وقد أشار لمصدره في هذه الأبيات.

(١٣٩) الشاعر هو أبو إسحاق الألبيري، انظر: ديوانه بتحقيق وشرح الدكتور محمد رضوان الداية، ص٨٥.

(١٤٠) انظر: شعر ابن اللبانة الداني، ص٤٢، وهي قصيدة طويلة مطلعها:

تبكي السماء بمزن رائح غاد ... على البهاليل من أبناء عباد

(١٤١) الشاعر ابن عبدون، انظر: ديوانه بتحقيق سليم مثير، ص١٣٩، وهي قصيدة طويلة قالها في رثاء المتوكل بن الأفطس وولديه عندما قتلهم المرابطون.

(١٤٢) انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٥.

(١٤٣) انظر: الذخيرة، ق٢، م٢، ص٨٠١، والشاعر هو أبو عبد الله محمد بن البين، انظر: ما كتب عنه في السابق، ص٧٩٩.

(١٤٤) من: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٤، والأبيات من

شعر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي. انظر: ما كتب عنه في الذخيرة، ق٢، م٢، ص٦١٥، وانظر: الأبيات ص٦٢٦.

(١٤٥) يوسف بن هارون الرمادي، انظر: الجذوة، ج١، ص٢٧٢.

(١٤٦) انظر: الجذوة، ج٢، ص٦٠٨، والشاعر هو يحيى بن هذيل ت ٣٨٦هـ، وهذه المقطوعة من مستحسن شعره، بل عُدت الصور فيها من أغرب الصور التي يرسمها شاعر أعمى. انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ص٢١٦.

(١٤٧) انظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص٢١٤.

(١٤٨) انظر: تحفة القادم، ص٦٨، والشاعر هو أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبي روح.

(١٤٩) الشاعر هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح. انظر: المطرب، ص٩٧، وانظر: الأبيات ص٩٩.

(١٥٠) انظر: مجلة الفصيل، عدد ٢٠٧/ رمضان.

(١٥١) انظر: الإحاطة...، ج٤، ص٤٨٦- ٤٨٨، وهي قصيدة طويلة، وانظر: مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب، ص٦١- ٦٥، وانظر: النفح...، ج٦، ص٤٧٦- ٤٧٨.

(١٥٢) انظر: شعر الرمادي، ص١١١ وما بعدها، وهي قصيدة طويلة.

(١٥٣) انظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٨٤- ١٨٥، ولم يحدّد الشاعر بل قال: «ولبعض أهل العصر في مدح...»، بينما المحقق قال: أن هناك من نسبها إلى (ابن دحية). انظر هامش ص١٨٤.

(١٥٤) انظر: تحفة القادم، ص١٠٢- ١٠٣، والشاعر هو أبو الحسين محمد بن محمد بن مسلمة من أهل إشبيلية، ت٥٨٥هـ.

(١٥٥) من: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٢١.

(١٥٦) انظر: النفح...، ج٣، ص٤٢- ٤٣.

(١٥٧) انظر: الحلة، ج١، ص٤٣.

(١٥٨) انظر: السابق، ص٤٧.

(١٥٩) انظر: السابق، ص٦٨.

(١٦٠) انظر: السابق، ص١١٥، وانظر: ما كتب عنه، ص١١٣.

(١٦١) انظر: السابق، ص٢٢٤، والشاعر الطليق هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، انظر: ما كتب عنه، ص٢٢٠- ٢٢١.

(١٦٢) انظر: السابق، ص٢٧٤.

(١٦٣) انظر: السابق، ص٢٧٣.

(١٦٤) انظر: السابق، ج٢، ص١٢- ١٣، وما كتب فيها عن أبي المطرف المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام وحكايته من زوج سليمان المستعين، وانظر: الأبيات، ص١٤.

(١٦٥) انظر: السابق، ج٢، ص٣٨، وانظر: ما كتب عن ابن عباد، ص٣٤ وما بعدها.

(١٦٦) انظر: السابق، ص٤٣، وانظر: ما كتب عن المعتضد، ص٣٩ وما بعدها.

(١٦٧) انظر: السابق، ص٦٥، وانظر: ما كتب عن المعتمد، ص٥٢ وما بعدها.

(١٦٨) ديوان المعتمد، ص١٠٦.

(١٦٩) الحلة، ج٢، ص١١٠.

(١٧٠) انظر: السابق، ص١٦٥.

(١٧١) انظر: الذخيرة...، ق١، م١، ص١٧٣، وهذه الأبيات قد حوت ذمّا لأهل بلاده لأنهم يتطلعون بشوق إلى كل مشرقي، أما ما ظهر على تراب الأندلس فلا يحتفون به.

(١٧٢) انظر: ما كتب عن الأديب القرطبي في الذخيرة، ق١، م٢، ص٧٣٩، وانظر الأبيات، ص٧٥٣، وانظر: المادة الأدبية في المصادر التأريخية الأندلسية من القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع الهجريين، ص٨١ (رسالة دكتوراه مخطوطة).

(١٧٣) من النفح، ج٣، ص١٨٧، والرسالة طويلة، إذ أخذت الصفحات من ١٨٧- ٢٢٢.

(١٧٤) الشاعر هو (ابن عمار)، والقصيدة في مدح المعتضد بن عباد والد المعتمد. انظر: النفح، ج١، ص٦٥٥- ٦٥٦، وانظر أيضًا: النفح، ج٣، ص١٩٤.

(١٧٥) انظر: السابق، ج١، ص٦٥٥.

(١٧٦) انظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص٢٢، والشاعر هو (ابن حنظلة البطليوسي).

(١٧٧) مثل عربي (مرعى ولا كالسعدان). انظره: في مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٧٥.

(١٧٨) انظر: نجد والحجاز في الذاكرة الشعرية الأندلسية (بحث مخطوط). وانظر: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١١٢، وانظر الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري، ص٢٢٧، وقبلها، انظر: تحفة القادم، الصفحات ٨٢، ٩٦، ٩٧، ١٢٧، وانظر مشاهير الشعراء...، ص١٥٣.

(١٧٩) انظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٦.

(١٨٠) انظر: ديوان ابن خفاجة، ص٢٨٣، وقبله انظر: الذخيرة...، ق٣، م٢، ص٦٠١- ٦٠٣.

(١٨١) انظر: الذخيرة...، ق٣، م٢، ص٦٤٠- ٦٤١، وانظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص ١١٦.

(١٨٢) من: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٦.

(١٨٣) من : الذخيرة...، ق٢، م٢، ص٧٢٠.

(١٨٤) انظر : ديوان ابن عبدون، ص١٣٩ ومطلعها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

وانظرها : في الذخيرة، ق٢، م٢، ص٧٢١- ٧٢٤.

(١٨٥) انظر : الذخيرة...، ق٢، م٢، ص٧٢٤- ٧٢٦.

(١٨٦) انظر : ديوان ابن الحداد بتحقيق الدكتور يوسف طويل، ص١١١، والبيتان من قصيدة أولها (فى مدح المعتصم بن صمارح)

أربرب بالكثيب الفرد أم نشأ ومعصر في اللثام الورد أم رشا؟

(١٨٧) انظر : تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص١١٩.

(١٨٨) انظر : الذخيرة...، ق٢، م٢، ص٧٢٧.

(١٨٩) انظر : السابق، الصفحة نفسها.

(١٩٠) من : السابق، ص٧٢٦، وانظر ما كتب عن هذه الطريقة (الطريقة القديمة) وأمثلة عليها في كتاب (ابن بسام وكتابه الذخيرة)، ص١٢٢ وما بعدها، وانظر أيضًا كتاب (تأريخ الأدب الأندلسي)، ص٢٦٣ وما بعدها.

(١٩١) من : اتجاهات الشعر الأندلسي خلال القرن الثالث الهجري، ص١٢١.

(١٩٢) انظر : السابق، الصفحة نفسها.

(١٩٣) من : السابق، الصفحة نفسها.

(١٩٤) انظر البحث المعنون ب (التراث الأندلسي ومسألة الوحدة).

(١٩٥) انظر: النفح...، ج٣، ص١٥٤.

(١٩٦) من : السابق، الصفحة نفسها.

(١٩٧) تحدّث تحت هذا العنوان المرحوم الأديب الرافعي في كتابه « تأريخ آداب العرب، ج٣، ص٢٥٨.

(١٩٨) من السابق، ص٢٥٩.

(١٩٩) انظر مجلة الناشر العربي، ع١، ص١٤٥، عام ١٩٨٣ يونيو، فقدم مقالاً بعنوان (نحو فلسفة جديدة لنشر كتب التراث) بقلم الصديق الصغير بشير.

(٢٠٠) انظر: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية)، ص٢٦٩.

(٢٠١) انظر : السابق، الصفحة نفسها.

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم

(٢) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار...: تحفة القادم، حققه وعلق عليه الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
• الحلة السيراء. حقّقه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٦٣م.

(٣) أبو ربيع، د. محمد...: في تاريخ الأدب العربي القديم. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٠م.

(٤) ابن الأحمر، الأمير أبو الوليد إسماعيل بن يوسف...: مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب. حقّقه وقدّم له الدكتور محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(٥) أرسلان، الأمير شكيب...: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٦) إسماعيل، د. عز الدين...: الأسس الجمالية في النقد العربي. عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، ط ٣، ١٩٧٤م.

(٧) أمين، أحمد...: ظهر الإسلام. ج ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥.
• المفصل في تأريخ الأدب العربي. تأليف أحمد الإسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري، وأحمد ضيف. المطبعة النموذجية، مصر.

(٨) الأنصاري، د. محمد جابر...: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

(٩) بالنثيا، آنخل...: تأريخ الفكر الأندلسي. تعريب الدكتور حسين مؤنس، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة.

(١٠) البغدادي، د. مريم...: شعراء التزوبادورز تهامة، ط ١، ١٤٠١هـ.

(١١) البكري، أبو عبيد...: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب (المسالك والممالك). تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ط ١، ١٣٨٧هـ.

(١٢) بهجت، د. منجد مصطفى...: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢- ٨٩٧هـ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤٠٨هـ.

(١٣) بيريس، هنري...: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف - ملامحه العامة وموضوعاته

الرئيسية وقيمته التوثيقية . ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط ١، ١٤٠٨هـ .

(١٤) البيومي ، محمد رجب ....: الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير . إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام ، ط ١، ١٤٠٠هـ .

(١٥) التلمساني ، أحمد بن محمد المقري ....: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .

(١٦) تنير ، سليم ...: ديوان عبد المجيد بن عبدون في أعماله الأدبية (الشعر والنثر) . إعداد وتحقيق سليم منير ، دار الكتب العربي ، دمشق ، ط ١، ١٤٠٨هـ .

(١٧) ثقفان ، د . عبد الله ...: الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله . صدر ضمن سلسلة « كتاب الرياض » (٣٢) ، ط ١، ١٤١٧هـ .

* الانتماء في الأدب الأندلسي نموذج فريد (محاولة لاستقراء بعض المصادر والمراجع) ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط ١، ١٤١٦هـ .

(١٨) جبور ، د . جبرائيل سليمان ....: من رياض الأدب والتأريخ . منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط ١، ١٤٠١هـ .

(١٩) جرار ، ماهر زهير ....: شعر الرمادي يوسف بن هارون ، شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٠هـ .

(٢٠) الجندي ، أنور ....: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريّات النقد الأدبي الحديث . دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري ، بيروت والقاهرة .

(٢١) الجوزو ، د . مصطفى ....: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) ج ١، دار الطليعة ، بيروت ط ١، ١٤٠٢هـ .

(٢٢) الحسين ، د . قصي ....: السوسيولوجيا والأدب . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١، ١٤١٣هـ .

(٢٣) الحسيني ، قاسم ....: الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري - موضوعاته وخصائصه . الدار العلمية للكتاب والدار العالمية ، الدار البيضاء وبيروت ، ط ١، ١٩٨٦م .

(٢٤) الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ...: جذوة المقتبس في تأريخ علماء الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، القاهرة وبيروت ، ط ٢، ١٤١٠هـ .

(٢٥) الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ...: صفقة جزيرة الأندلس المنتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار . نشره ليفي بروفنسال ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٨هـ .

(٢٦) ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد ...: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس . دراسة وتحقيق محمد على شوامكة ، دار عمّار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٣هـ .

(٢٧) خالص ، د . صلاح ...: إشبيلية في القرن الخامس الهجري - دراسة أدبية تأريخية لنشوء دولة عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١م .

(٢٨) خريوش . د . حسين يوسف ...: ابن بسام وكتابه الذخيرة . دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، ١٩٨٤م .

(٢٩) ابن الخطيب ، لسان الدين ...: الإحاطة في أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢، ١٣٩٣هـ .

(٣٠) خفاجي ، د . محمد عبد المنعم ...: الأدب الأندلسي - التطور والتجديد . دار الجيل ، بيروت ، ط ١، ١٤١٢هـ .

(٣١) الداية ، د . محمود رضوان ...: تأريخ النقد الأدبي في الأندلس . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢، ١٤٠١هـ .

* ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي . حققه وقدم له الدكتور الداية ، منشورات دار الحكمة ، ١٣٩٩هـ .

* ديوان أبي إسحاق الأليري الأندلسي . حققه وشرحه واستدرك فائته الدكتور الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ودمشق ، ط ١، ١٤١١هـ .

(٣٢) ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن حسين ...: المطرب من أشعار أهل المغرب . تحقيق إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد بدوي ، صدر في القاهرة ١٩٩٣م .

(٣٣) الدقاق ، د . عمر ...: مواكب الأدب العربي عبر العصور . دار طلاس ، دمشق ، ط ١، ١٩٨٨م .

(٣٤) دحيم ، مقداد ...: النوريات في الشعر الأندلسي . علم الكتب ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٦هـ .

(٣٥) الركابي ، د . جودت ...: في الأدب الأندلسي . دار المعارف ، القاهرة .

(٣٦) زكي ، يعقوب ...: ديوان ابن شهيد . جمعه وحققه يعقوب زكي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

(٣٧) السّعيد ، د . محمد مجيد ...: شعر ابن اللبانة الداني . جمع وتحقيق د . محمد مجيد السعيد ، من منشورات جامعة البصرة ، ١٣٩٧هـ .

(٣٨) السويسي ، د . رضا الحبيب ...: ديوان المعتمد بن عباد - ملك إشبيلية . جمع وتحقيق رضا السويسي ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٥م .

(٣٩) شاك ، فونت ...: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، ج ١، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط ١، ١٩٩١م .

(٤٠) الشروق ، دار ...: المنجد في اللغة والأعلام . بيروت ، ط ٢٣ .

(٤١) شلبي ، د . سعد إسماعيل ...: الأصول الفنية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة) . دار نهضة مصر ، القاهرة .

(٤٢) شلق ، د . علي ...: نقاط التطور في الأدب العربي . دار القلم ، بيروت ، ط ١، ١٩٧٥م .

(٤٣) الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام ...: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٩هـ .

(٤٤) ضيف ، د . شوقي ...: عصر الدول والإمارات (الأندلس) . دار المعارف .
* الفن ومذاهبه في النثر العربي . دار المعارف ، الطبعة العاشرة .

(٤٥) طويل ، د . يوسف علي ...: ديوان ابن الحداد . جمعه وحققه وشرحه وقدّم له الدكتور يوسف طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٠هـ .

(٤٦) عباس ، د . إحسان ...: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) . دار الثقافة ، بيروت ، ط ٦، ١٩٨١م .
* تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٦، ١٩٨١م .
* كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس . تحقيق د . إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٣، ١٤٠٦هـ .

(٤٧) عبد الحكيم ، الدكتور محمد صبحي وآخرون ...: * الوطن العربي أرضه ، سكانه ، موارده - الأنجلو المصرية ، ط ٣، ١٩٧٩م .

(٤٨) عبد العزيز ، د . أحمد ...: قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي . الأنجلو المصرية ، ط ١، ١٤١٠هـ .

(٤٩) ابن عبد ربه ، الفقيه أحمد بن محمد ...: العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر ، بيروت .

(٥٠) عتيق ، د . عبد العزيز ...: الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ٢، ١٣٩٦هـ .

(٥١) العربية ، مجمع اللغة ...: المعجم الوسيط . أخرجه إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخران ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٥٢) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ...: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . حققه وضبط نصّه الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

ط ٢، ١٤٠٤هـ.

(٥٣) عصفور، الدكتور جابر ...: المرايا المتجاورة – دراسة في نقد طه حسين. صدر ضمن سلسلة (دراسات أدبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

(٥٤) عنان، د. محمد عبد الله ...: نهاية الأندلس وتأريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٤، ١٤٠٨هـ.

(٥٥) غازي، الدكتور سيد ...: في أصول التوشيح. دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٩م.

(٥٦) غريب، جورج ...: العرب في الأندلس. دار الثقافة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.

(٥٧) غومس، إميليو غرسيه ...: * الشعر الأندلسي – بحث في تطوره وخصائصه – ترجمة الدكتور حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية.

* مع شعراء الأندلس والمتنبي – سير ودراسات. ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٩٤م.

(٥٨) فرحات، د. يوسف شكري ...: * ديوان ابن خفاجة. شرح د. يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت.

* ديوان ابن زيدون. شرح د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

(٥٩) فروخ، الدكتور عمر ...: * تاريخ الأدب العربي. دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.

* تأريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠١هـ.

(٦٠) محمود، الدكتور نافع ...: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٠م.

(٦١) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ...: مجمع الأمثال. حقّقه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٣٩٣هـ.

(٦٢) هيكل، الدكتور أحمد ...: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٢م.

(٦٣) ويليك، رينيه ويليك وآخر ...: نظرية الأدب. ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م.

البحـوث

(١) ثقفان، د. عبد الله ...: دعاة الأدب القومي في بلاد الأندلس. بحث مخطوط.

* شعر الجهاد في بلاد الأندلس (محاولة لاستقراء بعض المصادر والمراجع).

بحث مخطوط .

* المادة الأدبية في المصادر التأريخية الأندلسية خلال القرنين ٥- ٧ الهجريين .

رسالة دكتوراه مخطوطة .

(٢) العلوي ، د . عبد الله بنصر ...: نجد والحجاز في الذاكرة الشعرية الأندلسية . بحث مخطوط ضمن بحوث (ندوة الأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات) التي عقدت في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ، ١٤١٤هـ .

(٣) لهراس ، د . عبد السلام محمد ...: الأندلس بين الاختبار والاعتبار : محاولة لدراسة ضياع الأندلس وسقوطها من الفتح إلى نهاية العصر الأموي . بحث مخطوط ضمن بحوث (ندوة الأندلس) .

(٤) الوراكلي ، د . حسن عبد الكريم ...: التراث الأندلسي ومسألة الوحدة - بحث مخطوط ضمن بحوث (ندوة الأندلس ...) .

المجلات والدوريات

(١) الفيصل ، مجلّة الفيصل التي تصدر عن دار الفيصل الثقافية بالرياض ، العدد رقم ٢٠٧ ، رمضان .

(٢) الناشر العربي . مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الناشرين العرب ، ليبيا ، العدد الأول ، يونيو ، ١٩٨٣م .

(٣) متفرقات : دراسات استشراقية وعربية (أوراق) ، مدريد ، ٨٤/٨/٧.

(٤) مجلة التراث العربي . العدد ٤٧ ، شوال ١٤١٢هـ ، اتحاد الكتاب العرب - دمشق .

(٥) مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة محمد بن عبد الله ، فاس ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .